نبيٌّ يُولد.. وعالمٌ يتجدَّد

•

القيت في احتفال نادي المعلمين بالكويت
بذكرى مولد المصطفى عليه السلام
في ١٦/٣/١٣٧٣ هـ

أ ترى أنت مُسْعِدي يا خَيالي — هل أحُثُّ الخُطا وأطوي اللَّيالي
أتخطَّى هامَ السنين، وأعْدُو — خائضاً في مناكبِ الأجْيالِ
أتحدَّى قيدَ الزَّمانِ، وأُلقي — عَنْ كياني، وأنتضي أغْلالي
لأناجي خلْفَ القرون المواضي — ليلةً أطلَعَتْ نبيَّ الجلال !؟

•

ياعروسَ الزمان، يا مشرقَ الهدْ — يِ ويا مغربَ الخنَا والضَّلالِ..
جُمعتْ حكمةُ العصور بعطفيْ — كِ، فكانت للرُّوح خيرَ صقَال
ويح عينيَّ. ما أرى؟ ويح نفسي! — لا أطيقُ الذي يمُوجُ حِيالي
صُوَرٌ، لُحْنٌ في السماء وفي الأرْ — ضِ، وطوَّفْنَ رائعاتِ الجمالِ
ههُنا موكبُ الملائك حول الْـ — عرشِ يختال في بهيج الظِّلال
زفَّ جبريلُ في الطليعة يحدو — هُ، وغنّى داود خَلْفَ الرِّحالِ
والنجوم.. النجوم يرْقصْنَ كالغيـ — دِ؛ نشاوى، في رقة ودلال
وَعلى الافْقِ بهجة ورُواءٌ — وعلى البدر آيةٌ من كمال..
مهرجان السماء في مولـــد الها — دي تهادى ـ فيالرُوحي ويالي!

•

باتت البيدُ في سنا الله غَرْقى — مشرقاتِ البطاح بيضَ الرمالِ
مُعْشِباتِ الصخور، مهتزَّةَ السَّفْـ — حِ، نضارَ الكثبان خُضرَ التلالِ

كفكفَ الوحشُ من نواجذه بِشْ   راً، وصلّى في الرمل رهطُ الغزال
وتهادى النسيمُ يرقُصُ هيما   ن، طروباً، مُعطّرَ الأذيال ..
وعلى الكعبة الحرام قِيانٌ   من بنات الهديل حُمرُ القذال
يتناجين بين ورقاء تشدو   وهتوفٍ صدّاحةٍ في اختيال
ولد المصطفى (محمد) يا « عُزْ   ى » مُسَجّى باليُمنِ والاقبال
فهوى «اللات» خاشعاً، وتردّى   من عُلاه مُحطّمَ الأوصال
وترامى « مناةُ » يسجد لل   ـه، ويزجي للشرك لحن الزوال
آمن الصخر بالوليد ولم تؤ   منْ "قريشٌ" به عظيم الرجال
يا شعاعاً من هاشم يتراءى   غامراً بالضياء شمَّ الجِبال
فاتكا بالظلام شرقا وغربا   كانتهاب السنين للآجال ..
يتداعى إيوان كسرى لِمسْرا   هُ، ويُمسي في وحشة الاطلال
وتغضُّ النيران من وهج فيـ   ـها، وتخبو في رهبة وابتهال
اين يا « سارةُ » العزيزة ماءٌ   فيك يجري من فضة ولآل ?
جف حتى غدوتِ كالمهمه القفـ   ـر يبابا، يا ضيعة الآمال

•

افتدري من انجبت «بنت وهب»   لحقابٍ مضتْ واخرى توال ?!
افيدري الأب المغيب في اللحـ   ـد مصير الجنين بعد انفصال ! ?
إنه نفحة السماء الى الارض   ... وسير الوجود نحو الكمال !

•

آه لو أمهل القضاء أباه   ورآه في مجده المتعالي
وصغى قلبه لآية قرآ   ن، ودوّى به أذان « بلالِ »

•

ورأى الاهل والعشيرة لجُّوا   واستباحوا تلك الدماء الغوالي
غشيتهُم من الضلال غواش   صيرتْهُمْ في جِنّةٍ وخيالِ
واستدار الزمان وانتصر الحق   فجاءوا يحبُون في الاغلال
فعفا عنهم النبي ونادى :   أطلقوهم من القيودِ الثقالِ
صدق الله رحمةٌ انت للنا   س ونورٌ أكرم بها من خلال !
والعظيم العظيم من كان سمحاً   وعفا، قادراً على الاذلال !

•

آه لو أمهل القضاء أباه ... ورآهُ في مجده المتعالي
ورأى المالكين في الشرق والغر ... ب أسارى في حومة الابطال
ورأى قيصراً وكسرى أكبّا ... يسلمان القياد بعد النضال

•

يا نبيي . روحي الحزين يناجيـ ... ـك ، وقلبي بالمدمع الهطّال
برح الشوق بالفؤاد ، وعاف الـ ... ـنَّومَ جفناي في الليالي الطوال
فمتى نلتقي ، وأشرح من وجـ ... ـدي ،وأشكو إليك من ذل حالي ؟!
ذل من كان في هداك عزيزاً ... واستحال الضرغام نِضْوَ هُزَالِ
واستدار الزمان ،وانتكس الأم ... رُ ، وهُنّا ؛ حتى على الأحمال
أغطش الليل وادلهمت خطوبٌ ... وتوالى النكالُ بعد النكال
وبكى الشاعرون بالدم حرّا ... نَ على قومهم بُناة المعالي
رُوِّع البلبل الحزين عن الأرْ ... يك ، وطاب المقام للأنذال
وطن اللاجئين كهفٌ واسرا ... ئيل عُزّى في غابة الرئبال !
دُمّلٌ في فؤادنا ، ومحال ... ان يدواى بغير الاستئصال !

•

ولغت في الدم الزكيّ فرنسا ... واستقت في جماجم الاطفال
لو تمثّلتُها بَغيّاً هلُوكاً ... لظلمت البَغِيّ في امثالي
فكأيٍّ من عاهرٍ عافت الظل ... م وعفّت عن حمأة الاوحال

•

اين يارب خالد ؟ أين سعدٌ ؟ ... أين عصف الرياح يوم النزال ؟
أين يا رب عُقبةٌ تتفرّى ... عن لظى عزمه صروف الليالي ؟!
أين أين الذين عَزّوا ؛ فأمسي ... وارثو عزهم من الانفال ؟ !
ذهب الفاعلون منا زماناً ... وابتلينا بأمّةِ الأقوال !
يا نبيي روحي الحزين يناجيـ ... ـك وقلبي بالمدمع الهطال
ضجت الارض بالمآسي وغص الـ ... ـبر والبحر من ضحايا الضّلالِ
أشعلوها باسم الاخاء وقالوا ... ننشر العدل في الورى بالقتال
كذبوا وافترَوْا ، وضلوا ، وهاموا ... نشدوا مطلباً بعيد المنال
ههنا العدل والرضى والتسامي ... في ظلال القرآن تحت الهلال

•

يا نبيي . ذكراك توحي ، ولكنّ ... لساني مصفّدٌ وخَيَالي !

عبد العظيم بدوي

رأيت الشمس في منتصف الليل ! !

هذه رحلة قمت بها عبر الدائرة القطبيـة الشمالية في شمال السويد .. أقدمها الى ابني الحبيب « رفيق » لأنها تحوي الكثير من الدروس ... ان الرحلات يا بني الغالي دروس خالدة يستنير العاقل كثيراً منها.. ولـكن الجاهل يصير بعدها اشد جهلا ..!

•

انك عندما تكبر يا بني ، وعندما تُهيأ لك فرص الرحلات ، سوف تعرف ان اباك كان محقاً في ايمانه بالرحلات ... ايمانه بالله ، وبرسول الله ، وباليوم الآخر !! إنك يا بني سوف ترى ان ما تستفيده من الرحلة اغلى بكثير مما تنفقه في سبيلها .. اؤكد لك انك لن تندم بحال على ذلك لأنك سوف تعيش على ذكريات هـذه الرحلات. . هذا فضلاً على ان الرحلة مدرسة الاختبار التي لا يربي الرجال غيرها ! !

•

تعتبر السويد يارفيق « عروس الشمال » ! ! ويعتبر السويديون انفسهم ارقى سكان الشمال ، لأنهم اعظم ثروة ، واكثر في تعداد السكان ، ولأن السويد كانت هي الحاكمة في شبه جزيرة اسكندناوة جميعاً في يوم من الايام ! ! فـلا عجب اذن ان تعلم يا رفيق ان السويديين يتميزون بشيء من الزهو الطبعي ! !

انني لن احدثك يا رفيق عن ادب شعبها الرفيع ... ولا عن امانتهم المطلقة التي لا حد لها .. ولا عن الحياة الهادئة التي يعيشها الناس هناك ، فهي حياة لا ضجيج فيها ولا صخب ... انني لن احدثك عن السلام الشامل الذي يرفرف على هـذه البلاد ، ولا عن الامان المطلق الذي يسودها ، لان ذلك يحتاج الى شرح طويل..

ولكن يكفي يا رفيق انك اذا عبرت الدائرة القطبية الشمالية في الفترة ما بين ١٩ يونية الى ٢٩ يوليه ... فأنك سوف ترى هناك الشمس في منتصف الليل .. ! !



خــط سير رحلة شمس منتصف الليل !
لاحظ مهرجان الرقص بمناسبة هذا العيد السعيد !!

لا تظن يا رفيق ان هذا خيال ، بل إن ذلك حقيقة لا شك فيها ... انـك تستطيع ان تطير من مطار (بروما ـ Bromnia) في (ستكهلم ـ Stockholm) عاصمة السويد ... تبدأ الرحلة عادة من الساعة العاشرة مساء ، وتتجـه الطائرة في حراسة الله ، نحو الشمال .. سوف تلاحظ يا رفيق انك كلما اتجهت نحو الشمال ..

اخذ الضوء في الوضوح من وراء الافق من بعيد ... واخـذت تفاصيل مظاهر السطح تظهر شيئاً فشيئاً حتى تعبر « الدائرة القطبية » بعد منتصف الليل بربـع ساعة ... وهنا يا رفيق سوف تُؤَهَّلُ لبراءة شبه رسمية سوف تظل معك للذكرى ما حييت ... سوف تُقَدَّمُ اليك « شهادة فخرية » وذلك تخليـداً لذكرى اجتيازك دائرة عرض ٦٦° ونصف ، - الدائرة القطبية الشمالية - التي يبدأ بعدها صيف ، نهاره طويل تشرق فيه الشمس حوالي ٩٠٠ ساعة بصورة دائمة !! اي ان الشمس يا رفيقي الحبيب تشرق في هذه المنطقة ٣٧ ½ يوما بصورة مستمرة ... لا ترى خلالها الليل ، ولكنك ترى الشمس وهي تضيء الكون طول هذه الفترة من الصيف !!! يخيل اليك يا رفيق ان هذه قصة خيالية ... ولكنها الحقيقة بعينها !!

سوف ترى يا رفيق ، وانت تحلق بك الطائرة ، الجبال من تحتك... وسوف تشهد البحيرات رائعة الجمال التي تملأ شمال السويد ... والانهار الكثيرة التي تجري نحو الجنوب الشرقي لتصب في البحر ... انك سوف تشهد يا بني مدينة (كيرونا Kiruna) وهي اكبر مدن في العالم قريبة من القطب الشمالي... وهذه تكثر بها حقول الحديد الخام ، الذي يؤخذ منه انقى انواع الصلب الذي يصنع منه كثير من الاجهزة المعدنية التي نستخدمها في حياتنا اليومية ... هذا ومن الطريف ان تعلم يا رفيق ان السويد احتلت مكانتها بين الدول بفضل التصنيع الذي غنمت منـه كثيراً ... ذلك لأن مناجم الحديد الخام ، والغابات التي تغطي القسم الشمالي كله ... تلك الغابات التي استغل اخشابها السويديون ، لدرجة ان اصبح لأخشاب السويد شهرة ذائعة في عالم التجارة ... كل ذلك مكن السويد من ان تحقق في عـالم الاصلاح الاجتماعى ما لم تحققه دولة اخرى !!!

بعد مدينة (كيرونا) تتجه الطائرة يا رفيق نحو الشمال الغربي ، وعند الحدود بين السويد والنرويج ترى من بعيد الطريق المؤدي الى ميناء (نارفيك) التي كانت مسرحاً هاما اتخذه الالمان مركزاً لعملياتهم الحربية في المحيط الاطلنطي ، ومنـه كانوا يشرفون على حركات الاسطول البريطاني في هذا الميدان !! وهنـاك تشرف يا رفيق من طائرتك على جبال تعلوها تيجان من الجليد ، وبحيرات تتلألأ مياههـا في ضوء « شمس منتصف الليل » .. انه يا بني نهار طويل في منتصف الليل !!!

ثم تتجه الطائرة بعد ذلك فجأة نحو الجنوب... وهنا ترى يا رفيق « دنيا الجبال » التي يخفق قلبك عند مشهد جمالها الفتان !! انك تراها وقد انعكس عليها ضوء الشمس

فأكسبها روعة وجلالاً ! ! كل ذلك يارفيق في منتصف الليل ! ! ولكنه نهاربفضل ما تدخله الشمس فيه من بهجة وجمال ! ! هنا يا بني العزيز سوف تحلق بك الطائرة فوق هذه المشاهد الرائعة على ارتفاع لا يقل عن ٩٠٠٠ قدما ... ومن هذا الارتفاع ترى كيف تشرق « شمس منتصف الليل » على دنيا الجبال ! ! وكيف تتلألأ على حقول الثلج الممتدة الى ما لا نهاية ! . وكيف تتألق اشعتها في الثلاجات وهي تنساب بتثاقل ، وذلك نظراً لأنها تسير بسرعة لا تزيد عن عشرة امتار في اليوم ! ! انه لمنظر رائع حقاً ان ترى الثلاجات وهي تتحول الى نهر مائي وذلك بعد ان تعبر خط الثلج الدائم ! ! ما ابدع البحيرات ومجاري المياه يا رفيق وقد اكسبتها شمس منتصف الليل صوراً سحرية ينحني الفن أمامها اعجاباً وتقديراً !!!... انك وانت في موقفك هذا سوف ينبهك دليل الطائرة لتنظر الى الافق لترى بصيصاً من المحيط المتجمد ممتداً كشريط ازرق من بعيد ! ! !

تمتع بعد ذلك يا رفيق برحلة اخرى رائعة والطائرة مستمرة في طريقها صوب الجنوب ! سوف تشهد خلال هذه الرحلة السدود الكثيرة المقامة على الانهار العديدة التي تلقي بكميات هائلة من المياه الى منحدراتها في اصوات تفوق الرعود القوية ... ويزيدها روعة الزبد المتناثر في الفضاء ! ! ومن الطائرة يمكنك يا رفيق أن ترى كيف استغلت هذه القوى المائية في توليد (الفحم الابيض) لأدارة وانارة معامل الصاب ونشر الاخشاب والمنازل في كل انحاء السويد . . هنا يمكنك ان ترقب قرية (چكمك Jokkmokk) وهي تقع على حدود الظلام والنور ... ويسكن هذه القرية شعوب (اللاب Lapp) ... وهي تعتبر اكبر قرامم في السويد ... لاحظ شمس منتصف الليل وهي تعكس ضوءها على زجاج نوافذ البيوت المبنية في الأماكن العالية ، بينما بقي سكان القرية نائمين في ظلام الليل ... يرفرف عليهم السلام الذي تمتاز به هذه الربوع !!!

وهنا يا رفيق تبدأ في توديع شمس منتصف الليل بعد ان تكون قد متعت نظرك واشبعت قلبك برؤية مناظر تفوق الجمال وتنسيك كل هموم الحياة !!.... سوف تلاحظ يارفيق ان هذا الجمال الرائع يأخذ في الاختفاء التدريجي ، وذلك بعد عبور الدائرة القطبية للمرة الثانية ... هنا تنتقل من نور منتصف الليل الى ظلامه !!!

تصل بعد ذلك الى (ستكهلم) لتنام وتصبح مع الصباح لتحس انك كنت في

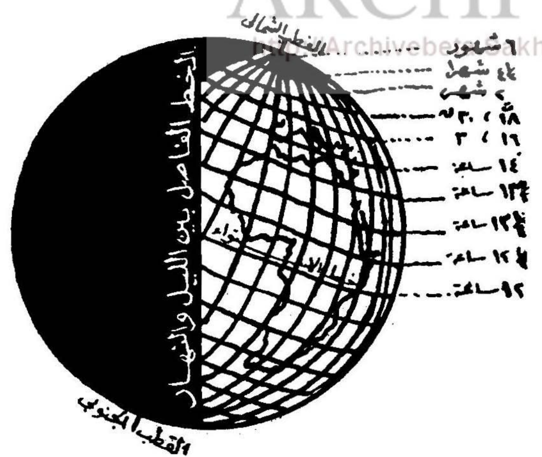
حلم من الاحلام !! انك لا تصدق انك قمت بهذه الجولة في زمن لا يزيد على خمس ساعات تكون قد رأيت خلالها كل عجيب !!!

●

هذه هي « شمس منتصف الليل » يا رفيق ! ! ان أهل السويد جميعاً يحتفلون بعيد منتصف الصيف ، حين تشرق الشمس في منتصف الليل ، احتفالاً كبيراً !! إنه « مهرجان شمس منتصف الليل » !!... في هذا المهرجان، يارفيق يرتدي السويديون رجالاً ونساءً الملابس الوطنية المطرزة المزركشة المختلفة الألوان... ويقيم المحتفلون عمودا خشبياً طويلاً كسِي بالخضرة والزهور ... ويعلقون عليه باقات الورود... وتكون سعيداً جداً يا رفيق، ان تراهم وهم يرقصون وينشدون الأغاني الوطنية فى حلقات يتوسطها هذا العمود الخشبي !! ان السويديين يارفيق يتفاءلون بهذا المهرجان، لانهم يعتقدون ، ان من لا يشترك فيه لن يصادف حظاً سعيداً !!

انني ادعو الله يا بني الحبيب ان يسعدك الحظ وترى « شمس منتصف الليل »!! انك ان قمت بذلك فتكون قد ادخرت شيئاً تحرص عليه ما حييت ... انك ان حرصت على هذه الجولة فانك تكون قد نلت كل السعادة !! انني رأيت « شمس منتصف الليل » مرة واحدة ... وارجو الله مخلصاً الا اموت قبل ان اراها مرة اخرى !!.. وكم اكون سعيداً جداً اذا كان ذلك في صحبة (رفيق) الحبيب !!

هذا والجغرافية الفلكية تؤيد شمس منتصف الليل يا رفيق ... فقد علمتنا أن للأرض دورتين... دورة حول نفسها من الغرب الشرق مرة كل ٢٤ ساعة.. ودورة اخرى في نفس الاتجاه حول الشمس مرة كل سنة ... وعلمتنا ايضاً ان الارض تدور حول (محور)، وان هذا المحور يميل بمقدار ٢٣ ١/٢° عن العمود النازل على مستوى فلكها (ومستوى الفلك هو مسطح او مستوى تخيلي



طول النهار في نصف الكرة الشمالي في الصيف

لا متداد فلك الارض.. ويجب ان يقع عليه مركز الارض في جميع اوضاعها بحيث لا يرتفع هذا المركز او ينخفض عن المستوى مطلقاً) ... وجيل المحور هذا هو سر تغير فصول السنة ... لانه لو كان هذا المحور عمودياً على مستوى الفلك لوقعت اشعة الشمس عمودية دائماً على خط الاستواء ... وتساوى الليل والنهار في جميع انحاء العالم !! فلو كان الامر كذلك ، لحرمنا من ذلك المنظر الخالد الرائع ... منظر شمس منتصف الليل !! ولكن الله سبحانه وتعالى لم يحرم عباده الذين يقدرون هذا الجمال الالهي السماوي البديع !!!

وما يهمنا الآن هو فصل الصيف ، وذلك عندما تتعامد الشمس على مدار السرطان في ٢١ يونيه... ففي هذا الفصل يكون القطب الشمالي مائلاً نحو الشمس ، فيتعرض القسم الاكبر من نصف الكرة الشمالي للضوء ، ويقع القسم الاصغر في الظلام ... وبعبارة اخرى يكون النهار فيها اطول من الليل . انك يا بني تشاهد ظاهرة طغيان النهار على الليل كلما تقدمت نحو الشمال ... انني شاهدت بنفسي الشمس وهي تغرب في (اوبان Oban) احدى القرى الجميلة في غرب سكتلند في الساعة العاشرة والنصف مساء !! وراقبتها وهي تشرق في الساعة الرابعة صباحاً ... هذا وانك يا رفيق كلما تقدمت نحو الشمال ... تأخرت الشمس في غروبها وتقدمت في شروقها !! حينئذ تتاح لك فرصة رائعة يا رفيق قبيل الدائرة القطبية حيث ترى الشمس وهي تغرب في الساعة الحادية عشرة مساء !! وتظهر مرة اخرى في الساعة الواحدة صباحاً !! ان فترة الليل هناك ساعتان فقط !! ولا عجب بعد ان تعبر الدائرة القطبية ان ترى ان موعد شروق الشمس وموعد غروبها يكاد يكون واحداً ... وهذا ليس شك بداية تفسير « شمس منتصف الليل » ... انه ليس « ليلاً » بالمعنى الذي نفهمه ... ولكنه الوقت المفروض فيه ان يكون ليلاً في جهات اخرى جنوب الدائرة القطبية !!

وهكذا يا رفيق تجد ان فترة النهار تأخذ في الطول التدريجي كلما اتجهت نحو الشمال ... ففي المنطقة التي قمتُ بزيارتها في شمال السويد لا يزيد فترة النهار فيها عن شهر ونصف في العام ... ثم تأخذ هذه الفترة في الكبر كلما اتجهت نحو الشمال حتى تجدها في « نقطة القطب » ستة شهور نهاراً كاملاً متواصلاً تظهر فيه الشمس باستمرار !!

وليس بغريب بعد هذا يارفيق ان تعلم أن هذه المناطق الساحرة تجتذب في كل

عام من عشاقها ما يزيد على الالف ! ! وليس بغريب ايضاً ان تعلم مرة اخرى ان هذه الجهات مسرح رائع تُمَثّل فيه قصص فنية يقوم بادوارها كبار فناني العالم الذين يجدون لذة ما بعدها لذة في تسجيل لوحات فنية لهذه المظاهر الفتانة ! ! انك هناك يا رفيق تحس انك تعيش في جنة يتمثل جمالها في الجليد وروعته ، وفي الشمس اللامعة التي تسطع فترة طويلة من الزمان !! . ولكن هذه الجنة يا رفيق تنقلب جحيماً في فصل الشتاء المظلم الطويل الذي لا تشرق ولا تغرب فيه شمس خلال ستة شهور ! !

●

انك في امثال هذه الرحلات يا رفيق تصادف شخصيات من جنسيات مختلفة يحصون عليك تصرفاتك وافعالك .. فمن الخطأ ان تعتقد انك ما دمت اجنبياً عن البلاد فان الناس لا يهتمون بافعالك .. ولكن عكس ذلك هو الصحيح لان اهل البلد الذي تزوره يرون في شخصك دائماً ممثلاً لبلادك ، وصورة من بني جنسك. فحاول دائماً يا رفيق ان ترفع من اسم بلادك .

ولا تنس يا رفيق ان (للرحلات آداباً) يجدر بك اتباعها ... فحاول دائماً حيثما كنت ان تتبع عادات السكان ، وان تحترم تقاليدهم ، وان تشترك في اعيادهم ، لأن ذلك يترك اثراً جميلاً في نفوسهم !!

وسوف تصادف يا رفيق صوراً كثيرة في رحلاتك ... وهذه الصور مليئة بالدروس الخالدة !! قد لا يروقك بعض هذه الصور ، لانها قد تبدو امامك غريبة عنك ... قد يؤدي هذا بك الى سخريتك لما رأيت ... وهذا امر بعيد كل البعد عن آداب الرحلات !! اسأل يا رفيق مَنْ هم اعلم منك بسر ما تجهل ، فقد يكون لك من وراء ذلك درس جديد مفيد لم يسبق لك علم به !!

وفي رحلاتك سوف تصادف من يتقدم لخدمتك ، او من يكون له فضل سابق عليك ... لا تنس ان تذكر لهم ذلك !! .. كن وفياً يا بني ، لأنك بذلك تضرب مثلاً اعلى في انبل الصفات !! ان اجدادك العرب يا بني كانوا مُثلاً عليا في الوفاء !! فلا تخيب املهم فيك !!

ان وقت الرحلة ثمين يا رفيق ، فلا تضيعه في ما هو تافه ... واذا كتبت عن رحلاتك فاهتم بالجوهر واهمل العرض ، لان كل كلمة من كلماتك سوف توضع في الميزان ... انني احب يا رفيق ان تكون ضمن زمرة المتزنين ، الوادعين ، الهادئين ...

لا ضمن زمرة المهرجين الذين يبغون من وراء تهريجهم دعاية فاسدة مغرضة حتى ولو كانت على حساب الواقع !! إن الرحلات يا بني تهذب النفوس ، وتقوم الخلق ، وتثير في الانسان من الصفات الرفيعة التي تجعله يحن الى بني جنسه ، الذين يختلفون عنه دينا ولغة وثقافة ... ان الرحلات يا رفيق تجعل الانسان يتفانى في التعاون مع غيره من الجنسيات لربط العالم برباط وثيق حتى يعود السلام الى ارجاء المعمورة !! ما احوجنا يا رفيق الحبيب الى هذا النوع من الانسان !! اننا نريد الانسان الذي يعتبر العالم كله وطناً له ويعمل على اسعاده !! ... انه نريد « المواطن العالمي » !!

استفد يا بني الغالي في رحلاتك ... ان الرحلات دروس خالدة ... يستنير العاقل كثيراً منها ... ولكن الجاهل يصير بعدها اشد جهلاً !!!

لبيب سالم
عضو البعثة التعليمية المصرية



قضية الادب

- ٣ -

تابع ما نشر في العدد الرابع
من السنة الثانية

تطبيقات على النظرية الحديثة في الأدب

الجاحظ -١- : وإذا كانت النظرية الحديثة ترى أن الاديب يمارس التجربة ويحسها أولا ثم يعبر عنها بعد ذلك في صورة موحية مؤثرة ولا سبيل الى معرفتها إلا بالتعبير عنها بألفاظ اللغة التي هي رموز محدودة على تلك المعاني غير المحدودة فالجاحظ من قبل قد ألم بطرف من ذلك حين قال : (١)

« المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في أذهانهم والمتخلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم ... مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكفوفة وموجودة في معنى معدومة ... وإنما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها ... »

الجاحظ -٢- : ونحن نقول الآن ان ألفاظ اللغة رموز محدودة ندل بها على المعاني غير المحدودة ولذا وجب استعمال تلك الرموز بمهارة لتوحي بأكثر مما تدل عليه معانيها ولقد قال الجاحظ مثل ذلك (٢) : « حكم المعاني خلاف حكم الالفاظ لأن المعاني مبسوطة الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية وأسماء المعاني (أي الالفاظ) معدودة ومحصلة محدودة » .

الجرجاني -٣- . كما يشير الى تلك الرمزية اللغوية عبد القاهر الجرجاني في قوله (٣) :

---

(١) ص ٧٧ من الجزء الأول من البيان والتبيين . (٢) ص ٧٨ من المصدر المذكور .
(٣) ص ٤٢٢ من اسرار البلاغة .

بالالفاظ فقط دون المعاني فيقول (١) :

« اعلم أن العرب كما كانت تعنى بالالفاظ فتصلحها وتهذبها فان المعاني أقوى عندها وأكرم عليها واشرف قدراً في نفوسها ؛ واول ذلك عنايتها بألفاظها لانها لما كانت عنوان معانيها وطريقها الى اظهار اغراضها أصلحوها وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع لها في النفس واذهب بها في الدلالة على القصد »

وتحدث عن العناية بالسجع فقال : (٢) « ولا تظن ان العناية اذ ذاك انما هي باللفظ فقط بل هي خدمة منهم للمعاني فانا قد نجد من المعاني الفاخرة ما يشوه حسنه بذاءة لفظه وسوء العبارة عنه » .

* * *

وأنا حين أعرض أقوال القدماء هذه على النظرية الحديثة في الادب لست مدافعاً عن فكرة خيالية هي ان العرب القدماء كانوا يعنون باللفظ والمعنى على حد سواء فلا شك ان اكثرهم كانوا كذلك سواء منهم المطبوعون كامرىء القيس وجرير وامثالهما او اصحاب الصنعة الطبيعية البدوية كزهير والحطيئة او اصحاب الصنعة الطبيعية الحضرية كبشار وابي نواس والبحتري او المغالون في الصنعة كأبي تمام وابن المعتز والمتنبي .

نعم لا شك ان اكثرهم كانوا يفكرون في معان قيمة ويعرضونها في الفاظ وعبارات توافقها في معظم الاحيان او تقصر عن تجلية مرادهم في احيان اخرى .

ولا سبيل الى انكار ان العصر عندما تقدم الزمن فاضمحلت الحضارة وخمدت القرائح وتفككت رابطة الدولة قد ظهر بـه اثر كل ذلك في جفاف الادب ودورانه على الفاظ تستعار لها معان ليست اصيلة لأصحابها مما هو واضح في معارض المقامات اللغوية وفي الطريقة الفاضلية وبين يدي الآن كتاب ابن الاثير فيه امثلة على ذلك ، وان كان اسلوبه هو اجلى واغزر من اسلوب القاضي الفاضل وذلك للطريقة التي كان يحمل عليها نفسه للحصول على المعاني بحل نظم آيات القرآن الكريم والشعر والنثر .

وطريقته مفيدة حقاً في فهم القرآن والاستفادة منه في الادب اخبرنا بها استاذنا محمد خلف الله في محاضراته وذكرها ابن الاثير ص ٦٩ من كتابه ؛ فقد كان يأخذ السورة ويتلوها مرات وفي كل مرة يدون المعاني التي علقها ذهنه في ورقة منفصلة ،

---

(١) ص ٢١١ من المثل السائر (٢) المصدر السابق .

وكان يجد في كل مرة انه يكتشف معاني جديدة

ثم توالت بعد ذلك عصور الضعف ايام المغول والمماليك والعثمانيين حتى اواخر القرن الماضي حين بدأ الادب نهضته التي سأعرض لآراء رجالها في هذا الموضوع موضوع اللفظ والمعنى في فصل تال ...

احمد عنبر
عضو بعثة التعليم المصرية بالكويت
والمدرس الاول بثانوية الشويخ

« للكلام بقية تنشر في العدد السابع إن شاء الله اما العدد السادس « القادم » فننشر فيه بإذن الله . من قضيــة الادب الجزء الاول الذي يسبق ما نشر من قبل . » « الرائد »

احاديث "الرائد"

مع الاستاذ محمد علي حافظ

•

« زار الكويت الاستاذ الكبير محمد علي حافظ المدير العام للتربية البدنية والكشافة بوزارة المعارف المصرية ، والخبير الفني لشئون الشباب بالجامعة العربية ، وقد استقبل بحفاوة بالغة . وزار الاستاذ حافظ بعض المدارس والاندية في الكويت ، وتحدث مع المسئولين في ادارة المعارف بالكويت حول اشتراك عدد من ابنائها في الدورات الرياضية والمعسكرات الكشفية وتبادل الزيارات التي ستقوم الامانة العامة للجامعة العربية بتنظيمها.

وقد قدمت « الرائد » بعض الاسئلة للاستاذ حافظ فأجاب عليها مشكوراً » «الرائد»



الاستاذ علي حافظ

س — ما الغرض من زيارتكم الى الكويت ، والبلاد العربية الاخرى ؟

ج — الغرض من زيارتي الى الكويت هي التعرف على مدى ما وصلت اليه المنظمات الرياضية والكشفية فيها ، ومدى رعاية الامة الكويتية - حكومة وشعباً — للشباب وتدريبه على استثمار اوقات الفراغ فيما يعود بالنفع على المجتمع ، فهي في الواقع زيارة دراسة تمهيداً لعقد مؤتمرات بين الفنيين في كل دولة عربية تبحث فيها شئون الشباب ووسائل خدمته وتوثيق الصلات بينه وبين البعض الآخر

حتى ينتهي بنا المطاف في الدراسة والبحث والتنفيذ الى تكوين وحدة عربية بين الشباب تستطيع تمثيل العالم العربي في اجتماعات الشبيبة الدولية .

س — ما الوسائل التي تقترحونها لانشاء منظمات للشباب في الكويت ؟

ج — اعتقد ان الكويت قد قامت فعلاً بتكوين منظمات للشباب فقد رأيت في المدارس والاندية اقبالاً فائقاً على الرياضة ، كما وجدت الحركة الكشفية مثمرة ولمست في شباب المدارس ميلا لتعلم الهوايات ، وهذه اتجاهات تربوية صحيحة سيكون لها اثرها في نهضة مباركة أساسها تربية الشباب واعدادها لحياة كريمة ، والزمن كفيل بأن يحقق هذه الوثبة ،ومن سار على الدرب وصل .

س — هل تعتقد ان للرياضة اثراً كبيراً في نهضات الامم ؟

ج — اصبحت الرياضة الآن بعد ان هذبت اساليبها وارتكزت اصولها على العلم والفن وتعدلت أهدافها في ان تكون احدى الوسائل الهامة لاعداد المواطن الصالح ،أقول أصبحت الرياضة عنصراً هاماً في تكوين الشعوب وحياتها لأنها تكمل صورة الحياة السعيدة ، وتتم رسالة التربية ، وتجعل حياة الفرد سعيدة هانئة ، ورفاهية الأمة نتيجة لسعادة افرادها وهناءة ابنائها .

س — ما الغرض من اقامة الدورات الرياضية بين البلاد العربية ، ومتى ستقام الدورة القادمة ؟

ج الغرض من الدورات الرياضية العربية ذو شقين : اولهما اتصال الشباب العربي بعضه بالبعض الآخر في جو من اللعب المنظم فتتوثق عرى الصداقة بينه على اساس من تشابه الميول ، وتماثل النزعات في محيط البساطة والمرح . وثانيهما رفع المستوى الرياضي بين الشباب في جميع البلدان العربية حتى يكون اهلا لأن يمثل العروبة العتيدة في الاجتماعات الدولية الكبرى . اما الدورة القادمة فستقام بلبنان في صيف ١٩٥٧ ان شاء الله .

س — تحتاج بعض االبلاد العربية الى مدربين فنيين فهل في استطاعة الجامعة العربية ان تتقدم بمساعدتها بالفنيين ؟

ج — نعم . وقد تقدمت للامانة العامة للجامعة العربية بانشاء مركزين صيفيين لتدريب القادة تدريباً عملياً ونظرياً على يد أخصائيين ممتازين ، احدهما للرياضة والثاني لحركة الكشف كناحيتين هامتين من بين اساليب خدمة الشباب .وسترسل الدول العربية مبعوثيها الى المركزين في كل ناحية وبذلك نستطيع صقل قادة

الرياضة او الكشف بكل الطرق الحديثة في التدريب ، كما نستطيع جمع القادة في صعيد واحد يوحدون مصطلحاتهم وأساليب تدريبهم ويتناقشون في مشاكلهم في جو من الاخوة والمعرفة .

س — ما أحسن الطرق لتعريف الشباب العربي بالوطن العربي ؟

ج — سنقيم للشباب أيضاً علاوة على الدورات الرياضية معسكرات كشفية عربية عامة ، وندرس الآن مشروع تنظيم تبادل الزيارات بين شباب المعاهد وشباب الحقول وشباب المصانع . وسيكون من بين برامج هذه النواحي محاضرات ومناظرات في التربية الوطنية والتربية السياسية والتربية الروحية والتربية الاجتماعية والتربية البدنية على ان يكون محور هذه الدراسات ، وحجر الزاوية فيها « العرب والعروبة » .

س — ما الاشياء التي لفتت نظركم في الكويت ؟

ج — اول ما لفت نظري في الكويت الحركة والعمل فهنا وهناك عمارات تشيد وطرق تعبد ونظم توضع مما يدل على مستقبل زاهر وعلى رأي المثل « كل حركة بركة » .

س — ما هي نصائحكم للشباب العربي ؟

ج — أرى ان يعمل الشباب في جد واتزان ، وأن يبذل جهده في استثمار وقت فراغه فيما يعود عليه بالنفع وعلى امته بالخير ، وأن يصقل عقله بكل جديد نافع ، ويقوي بدنه حتى يستطيع ان يقوم بكل التبعات الملقاة عليه ، وأن يسعى بالاتصال بغيره من شباب العروبة حتى يكون وحدة عربية فتية قوية .

علم النفس والادب

•

موضوع علم النفس هو دراسة النفس الانسانية ، ولذلك فان باستطاعتنا ان نستغل هذا العلم في دراسة الفن ، لأن النفس هي منبع جميع الفنون . وفي هذه الحالة فان على علم النفس ان يفسر لنا كيف تمّ خلق العمل الفني اولاً ، وان يكشف لنا عن العوامل التي تجعل من الانسان فناناً خالقاً ثانياً : وبهذا يواجه العالم النفسي مشكلتين متميزتين عليه ان يتناولهما من طريقين مختلفين . ففي العمل الفني يواجه عالم النفس انتاجاً فيه كثير من اوجه النشاط النفسي المعقدة ، إلا انّه إنتاج إرادي قد تمّ بطريق الوعي. وفي حالة الفنان يبحث في الجهاز النفسي نفسه. فهو في الحالة الاولى يحلل لنا نفسانياً العمل الفني ، امّا في الحالة الثانية فانّ عليه ان يحلّل الانسان الحي الخالق كشخصية مستقلة. ومع انّ هاتين الحالتين متداخلتان ومترابطتان إلاّ انهما لا تعطيان نفس التفسيرات والنتائج — قد نستنتج بعض الاشياء عن الفنان من العمل الفني او بالعكس ، ولكنها ليست استنتاجات شاملة، وهي في احسن حالاتها ليست الا تخمينات محتملة فقط : فعلاقة (جيته) بأمه تلقي ضوءاً على سبب صياح (فاوست) : « الام ... الام .. يا لها من كلمة غريبة ! » ولكنها لا تستطيع ان تفسر لنا كيف ان علاقته بأمه قد استطاعت ان تنتج دراما فاوست ، مهما لاحظنا من شبه بين جيته وبطل درامته . ولن نستفيد اكثر لو سلكنا السبيل الآخر بأن نبدأ من العمل الفني لنستدل منه على الفنان ، فمثلاً ليس هناك في عمل (فاجنر) الفني ما يمكننا من ان نستنتج ان فاجنر كان يميل احياناً الى لبس ملابس النساء .

إنّ ما وصل اليه علم النفس من رقي حتى الآن ، لا يزال عاجزاً عن ان يعطينا احكاماً دقيقة ثابتة فيما يتعلق بالعمل الفني . ولكن علم النفس يسعى دائماً للكشف

عن خفايا نفس الفنان ؛ وإنكار هذا على علم النفس معناه إنكار هـذا العلم برمته .
إن كلّ ما في الامر انّ علم النفس لا يستطيع ان يعطينا حكماً علمياً رياضيـاً في هذا الموضوع .

وهناك فرق جوهري بين طريقة تناول الناقد الفني للعمل الفني وطريقـة عالم النفس ، فما يكون هاماً جداً لاحدهما قد يراه الاخر غير ذي جدوى له ، ومثال ذلك ان القصة النفسية Psychological Novel لا يهتم بها عالم النفس لان مثل هذه القصص تفسر نفسها بنفسها ، فالكاتب يكيّف الحوادث حسب نظريات في علـم النفس ، فكأنها قصص تكتب تطبيقاً على نظريات كقصص الكاتب الانجليزي (الدوس هكسلي) ؛وفي مثل هذه القصص يفتش غير علماء النفس عن علم النفس، وكل ما يستطيع عالم النفس عمله في هذه الحالة هو إما ان ينتقدها او أن يفسرها . والقصص التي لا يحلّل الكاتب فيها نفسيات شخصياتها أو بواعث أحداثها هي التي تغري عالم النفس بتناولها لتحليلها نفسانياً لأنه هو وحده الذي يستطيع هذا .

وليس الامر مقصوراً على القصة بل ينطبق على كل عمل ادبي . ونشاهد النوعين المذكورين في الشعر في جزأي تمثيلية (فاوست) : فمأساة حب (كريتشن) تفسر نفسها بنفسها ، ولا يستطيع عالم النفس ان يضيف إليها جديداً ،لان الشاعر لم يترك شيئاً إلا وعبر عنه في احسن صورة ؛ اما الجزء الثاني من فاوست ففي حاجة الى تفسير وتوضيح : فخصب خيال الشاعر وتكدس الاحداث تجعلان القارىء يشعر انه في حاجة الى شروح تفسّر له ما غاب عن فهمه وإدراكه . وهكذا نرى هذين النوعين من الأدب في (فاوست) في اجلى صورة .وقد سمّى العالم النفسي المشهور (يونج) النوع الاول (نفسياً) Psychological والثاني (تخيلياً) Visionary والادب النفسي - في تعريفه - يستقي مادته من عالم الانسان الواعي : كتجاربه في الحياة ، والصدمات العاطفية ، ومآسي البشر بصورة عامة - وهذه معاً تكوّن ما يعرف بعالم الانسان الواعي ، بل حياته الشعورية بوجه خاص . فهذه التجارب يستوعبها الشاعر ثم يسمو بها من مستواها العادي الى ان تصبح تجربة الشاعر نفسه، ثم يعبر عنها بطريقة تبعث الصفاء والجلال والانفعال في نفس القارىء . ولا يترك في هذه الحالة لعالم النفس سوى ان يفيض في شرح الاسباب : كأن يفسر لنا لماذا وقع فاوست في حب كريتشن، او لماذا قتلت كريتشن طفلها .والقسم الاكبر من الانتاج الادبي من هـذا النوع ، أي من النوع النفسي الذي يستقي مادته من

تجارب الانسانية في عالمها الواعي . وقد سمّي هذا النوع من الادب نفسيا لان كل ما فيه من تجارب وحتى من تعابير فنية هي من عالم المعقول الذي لا غرابة فيه والذي عرف منذ بدء الوجود : كالعاطفة العاصفة بصاحبها ونتيجتها المحتومة ، وخضوع الانسان لارادة عليا ، والطبيعة الانسانية بما فيها من خير وشر .

وجزءا (فاوست) يبينان لنا بجلاء الفرق بين النوعين المذكورين من الخلق الفني . فكل ما في الجزء الاول نراه معكوساً في الجزء الثاني : فتجربة الشاعر في الجزء الاول تجربة عادية من عالم الانسان الواعي ، اما تجربته في الجزء الثاني فغريبة ، متعددة الجوانب ، مضحكة ، شاذة ، لايحدها زمان ، تمزق اربا ما تعارفنا عليه من قيم ومفاهيم . وليس هناك من سبب يدعونا لان نفترض ان (جيته) كان انساناً طبيعياً عندما كتب الجزء الاول ، وانه كان في حالة مرضية عصبية عندما كتب الجزء الثاني . والواقع اننا لا نجد بداً من ان نفترض بأن الجزء الثاني يعبر عن تجربة أكثر عمقاً من تجربة الانسان العادي .

إن الادب النفسي لا يستطيع أن يمزق الحجب التي تستر أسرار الكون ، ولا يتجاوز حدود الانسان المعقولة ، ولكنّ تجارب الادب التخيلي تمزق الحجب عن وجه هذا العالم فنرى ما استتر علينا وخفي . ومثل هذا النوع نراه أيضاً في (راعي هيرماس) لدانتي وفي شعر (وليم بليك) . ونحن عند بحثنا في الادب النفسي لا نتساءل عن الموضوع والاحداث وما تعنيه ، ولكنّ هذا التساؤل يفرض نفسه علينا في الادب التخيلي فنحن إذ نندهش به ونفزع ويختلط الامر علينا ، نلتفت الى الشروح والتعليقات . ولا يذكّرنا هذا النوع من الادب بشيء مما يجري في حياتنا اليومية ، بل بالاحلام ومخاوفها وما استتر في ثنايا الفكر من اشياء نحس بها ولكنا نكبتها . ومثل هذا النوع من الادب ينكره القارىء العادي ، وحتى الناقد الادبي يقف أمامه مكتوف اليدين محرجاً ، وهنا يبدأ عمل عالم النفس الادبي .

وقد حاول (دانتي) و (فاجنر) أن يسهّلا السبيل الى فهم هذا الفن التخيلي ، فنرى دانتي يقدم لكتابه بحقائق تاريخية تفسر تجربته المتخيّلة ، ونرى فاجنر يذكر حقائق ميثولوجية – فنرى في هاتين الحالتين التاريخ والميثولوجيا مادتين استقى منهما هذان الشاعران موضوعيهما . ولكنّ الحقيقة أنّ الدافع الحقيقي للخلق الفني عندهما لا يكمن في التاريخ والميثولوجيا بل في تجاربهما الشخصية المتخيّلة .

إنّ غموض مصادر الادب التخيلي تجعلنا ميالين الى نشك في أنّ هذا الغموض

قد يكون مقصوداً ؛ ولكننا ميالون أيضاً الى أن نفترض - و (فرويد) يشجعنا على هذا الفرض - أن تجربة إنسانية من نوع سامٍ تختفي وراء هذا الابهام . ولذا فإن علماء النفس الادبي يحاولون دوماً تفسير هذا الغموض وفهم السبب الذي حدا بالشاعر الى إخفاء تجربته عنّا .

وعالم النفس الذي يرى رأي (فرويد) يميل الى ان ينظر الى مثل هذا الانتاج نظرته الى مشكلة مرضية تتطلب حلاً . ولأن هذه التجربة تخالف واقع الانسان في حياته العادية ، لذلك فانّ عالم النفس يحاول أن يعتبر هذه الاخيلة الغريبة الشاذة رموزاً يحاول الكاتب أن يخفي بها حقيقة التجربة التي مر بها ؛ فهو بهذا يحاول أن يستبدل الواقع بالخيال . ولفرويد رأي في تفسير هذا الادب التخيلي أثار في زمانه ضجة عندما خرج بها على العالم لأول مرة ، وقيمتها تعود الى انّها اول محاولة علمية لتفسير مصادر الادب التخيلي ، وأول نظرية علمية وضعت لتفسير المظاهر النفسية التي تكمن وراء هذا النوع الغريب من الخلق الفني . اما (يونج) فيرد عليه قائلاً إننا إذا أصررنا على أن الشيء المتخيَّل ناتج عن تجربة شخصية ، فانه ينتج عن هذا ان الخيال تابع ، أو ليس إلا رمزاً للواقع ، وبهذا نعرّي الخيال من كل صفة أصيلة فهو رمز لا غير ؛ وهذا غير صحيح .

ونحن الآن نعتبر الفن تعبيراً جميلاً عن الانفعال الشخصي ، وهـذا ينقلنا من دراسة الناحية النفسية في العمل الفني الى دراسة نفسية الشاعر نفسه . وفي هذه الحالة علينا ان نهتم اهتماماً خاصاً بالتجربة الاصلية التي تختفي وراء العمل الفني . وقـد يظهر للقارىء العادي أن هذه التجربة المتخيَّلة لا تمت بصلة الى عالم الانسان ، ولهذا يجد صعوبة في الاقتناع بأنها حقيقية ؛ وقـد يخطر بباله أنها نوع من الشعوذة . ولكنّ الحقيقة أن هذه التجربة المتخيَّلة ليست في شيء من هذا ، بل هي من نتاج الخيال الخصب الذي كان دوماً مبدعاً للفنون .

لقد أصبح موضوع « علم النفس الادبي » من اهم موضوعات النقد في المكتبة الغربية ؛ أما عندنا فلا تزال مفاهيمنا دون هذا المستوى بكثير . ولكننا لا نستطيع ان ننكر المحاولات الجدية التي تبذلها كلية الآداب بجامعة القاهرة ، لادخال هـذه المفاهيم الفنية الراقية في دراساتنا الادبية ؛ هذه المفاهيم التي ستغيّر بعد قليل اتجاه تفكيرنا وتقديرنا للقيم الفنية عامةً ، والادبية بصورة خاصة .

محمود السمرة

نور جديد ينبثق

•

« لأول مرة في تاريخ الكويت – بل في تاريخ جـزيرة العرب كله على ما نعلم – تقام مباريات رياضية للبنات في الكويت ، وقـد استقبل هذا الامر المهم في الكويت باستحسان بالغ ، فقد دل على ان نهضتنا أخذت تؤتي اكلها باذن الله ، وغصت ساحة مدرسة خديجة بالامهات والفتيات الكويتيات الكريمات لمشاهدة هـذه المباراة الرائعة .

و«الرائد» حين تسجل هذا الحدث الخطير على صفحاتها فانها تحيي فتياتنا الرياضيات الأبيات الكريمات ، وتؤكد مرة اخـرى كما اكدت مرات عديدة ، بانها ستظل حرباً لا هوادة فيهـا على كل رجعية تحاول ان تعرقل سير الحضارة في الكويت وتقلب سنة الله في الكون ، وتلح على المسئولين ان يهيئوا لفتياتنا الامكنة الصالحـة لمزاولة الالعاب الرياضية والمحلات الكافية والمريحة المتفرجات .

والى الأمام يا فتيات الكويت »

« الرائد »

في يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة والف هجرية الموافق الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة والف ميلادية بدا في سماء الكويت نور جديد سطع فأضاء ارجاءها ووطد الامل في نفس كل محب للنهضة النسوية المؤمن بها المعلق عليها اسباب النهضة العامة الشاملة .

ففي تمام الساعة الواحدة والنصف من مساء هذا اليوم بدأ سيل طالبات المدارس وعدد غير قليل من الامهات المتحمسات بدأ يفد على ساحة مدرسة خديجة لمشاهدة أول نشاط رياضي لفتيات الكويت الناهضات وكلما تقدمت عقارب الساعة كلما ازداد شوقهن وتعجلهن بدء المباراة بين فريق كرة الشبكة بالمدرستين القبلية والشرقية للبنات . وما أوفت الساعة على الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين مساء حتى أطلقت اول اشارة لأول مباراة ظلت تترقبها القلوب منذ شهر مضى . ونزلت المتباريات في خطى رياضية رشيقة لم يبد فيها انها الخطوات الاولى في هذا المضمار فلم يتعثرن في ذيل الخجل بل كن واثقات من انفسهن ثقة المجرب المتمرن الذي مارس هذه الرياضة سنين طوالاً لا شهراً واحداً من الزمان . وانطلقت الأكف بالتصفيق لا تشجيعاً فحسب ولكن فرحاً باقتحام الفتاة ميداناً جديداً من ميادين الرقي حيل بين الاناث وبينه زمناً وبات موصداً بابه في وجوههن حتى قدر له ان يلين فيفتح .

ثم بدأ النزال بين هتاف الاعجاب وتصفيق الحماس وانتهت الفترة الاولى بتعادل الفريقين فهرع كل الى غرفته يهيىء من شأنه ويستعد للموقف الفاصل . وأسفرت النتيجة النهائية عن نجاح المدرسة القبلية نجاحاً مشرفاً . ومهما يكن الفريق الفائز فان الفوز هو في المحل الثاني بجانب ما بذله كل فريق من الجهد والقيام بالواجب والتفاني في الاستبسال وعدم اليأس . ولم يخل اللعب من مداعبات طفيفة بين الطرفين من حين لآخر من دفع وايقاع . وهذه اخطاء، الزمن والمزاولة كفيلان بالتخلص منها . وهي لا تقاس بما يجري في بعض البلدان عندما تدخل المباريات الرياضية لأول مرة في تاريخها، وبين الرجال، إذ تنتهي بمعارك أحياناً . فالحمد لله على ان تجربتنا دلت على حسن فهم فتياتنا للأغراض الحقيقية الكامنة وراء هذه المباريات .

حقاً لقد كان هذا اليوم عيداً من اعياد التطور فانه ليملأ النفس غبطة وسروراً أن نرى فتاة الكويت الناشئة تقتحم ميدان العلم وثابة غير هيابة مكافحة غير متوانية مع علمها بطول الطريق وبعد الشقة ووعورة المسالك عاملة بقول أخت لها سبقتها من قبل اذ قالت :

ما عاقني خجلي عن العليا ولا سدل الخمار بلمتي ونقابي

ونراها فوق ذلك تدرك تمام الادراك حقها في الحياة الكريمة فلا تريد ان تتخلف في أحد الميادين ومنها ميدان الرياضة البدنية الذي كان وقفاً على الذكور دونها

فالتربية الصحيحة لا تنال من بطون الكتب وحدها ولا بين جدران الفصول بل تتعداها الى ساحة اللعب . في هذه الساحة تتبلور الأخلاق وتصقل النفوس ويتكون الفرد جسماً وعقلا وروحاً . فليس للعب مجرد حركات متنوعة تكسب الجسد قوة ومرونة ورشاقة وخفة فهذه تمارين للأذرع وتلك تمارين للجذع وهكذا وليست المباريات منافسات لكسب كأس اونيل صيت وإنما الاهداف ابعد من ذلك واكثر غورا فالعقل السليم لا يستقر الا في جسم سليم وفي اللعب نتعلم النظام واحترام القانون والنظام واحترام القانون قوة وفيه نضحي ونبذل قصارى جهدنا بسخاء لا لصالحنا الشخصي وإنما لصالح جماعتنا فنتعلم الاتحاد وإنكار الذات وهما قوة ثانية؛ وفيه نتآخى ونتآلف ونكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً فلا عداء ولا كراهية ولا حقد ولا ضغينة بل تسامح ومحبة وكل هذه قوى أخرى ؛ وفيه نصبر اذا انكسرنا ونضبط أنفسنا اذا انتصرنا وما أحوج الانسان في حياته الى التسلح بالكثير من هذه الفضائل وقد حثنا ديننا الحنيف على ان نأخذ بأسباب القوة فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف والقوة لا تنال بالعلم وحده .

لا تحسبن العلم ينفع وحده   ما لم يتوج ربه بخلاق

وان كانت تجربتنا قد كللت بشيء من النجاح فقد كان الفضل لمن ساهموا معنا بنصيب فيها فلهم ولهن منا خالص الشكر . وأخص بالذكر مدرسات التربية البدنية وجماعة التدبير المنزلي بالمدرسة القبلية فقد هيأت لنا فرصة نعمنا فيها بما قدمت من فنونها المنزلية الراقية وسعدنا بوقت نسينا فيه بعض مشاغلنا وأنسنا باجتماعنا في جو ودي بعيداً عن الكلف الذي يفرضه علينا جو العمل الجدي؛ وأحسن ما في هذه الجماعة انها تضم اعضاءها من جميع الفرق والاسنان؛ وقد لفت نظري فيها تلميذة صغيرة من تلميذات السنة الثانية الابتدائية قامت بنشاط واسع في اعداد الفطائر، وقد اعجبت بها ايما اعجاب اذ علمت انها على حداثة سنها تقوم بمعظم عمليات الخبز وهي التي يتوقف عليها ثلاثة ارباع نجاح العمل. وكنت أحب أن انوه بذكر الاسماء لولا الخوف من غضبة بعض حضرات الآباء . ولا أنسى تلميذات مدرسة خديجة الصغيرات اللائي تعاون معنا في تصفيف المقاعد عن طيب خاطر وعددها ستمائة كرسي عدا المقاعد الطويلة .

كما أوجه الشكر وجميل التهنئه للاعبات من الفريقين على حسن ثقتهن بأنفسهن وايمانهن برسالتهن ما بذلته من جهد في التمرن والاستعداد فلولا ذلك لما ظهر

لهذا العمل اي أثر ولباء بالفشل فإنه على قدر اهل العزم تأتي العزائم ونصيحتي لهن ألا يتركن أجسامهن للتراخي والا يرجعن الى الوراء بل دائماً الى الامام وفي كل حين .

والشكر الختامي لحضرات الامهات والسيدات الفضليات اللائي لبين الدعوة وما كنت اتوقع ان يحفلن بها . واعتذر عن عدم تمكننا من دعوة عدد اكبر من باقي الامهات . وهذا من حقهن علينا ولكن ما الحيلة والمكان لا يغني من جوع. واني لانتهز هذه الفرصة فأهيب بالمسؤولين ان يولوا هذه الناحية ما تستحقه من عنايتهم فيخصصوا مكاناً فسيحاً لمدارس البنات تقام فيه معارضها وحفلاتها ومبارياتها فهذه فرص الاجتماع التي هي من اهم وسائلنا في الاتصال بأولياء الامور كما هي من اهم وسائلهم للاتصال بنا ونحن نرحب بهذه العلاقة ونحب ان نعمل على توثيقها لما لها من ثمار تربوية لا يجهلها القائمون بأمور التربية .

وانه لمن يمن الطالع ان تلمع تباشير هذا النور الجديد في ليلة مولد عام جديد. جعله الله عام بشر وعام سلام ينشر اجنحته على العالم اجمع .

منيرة حمدي
مفتشة تعليم البنات

التربية الجمالية

•

أذا حاولنا ان نتعرف معنى الجمال عن طريق لمحة تاريخية لوجدنا ان كل فيلسوف حاول ان يعطي نظرية خاصة في الفن والجمال - فمنهم من عرف الجمال قائلاً : الجمال يكون في شكل الشيء وآخر يقول الشيء الجميل هو ما كان نافعاً وآخر يعتبر ان الجمال صورة للخير وآخر وهو شوبنهور ، يقول ان الجمال هو ما يحدث السرور في النفس من التأمل اذا تحرر من قيود الارادة. وهذه الفكرة قد بدأت على يد « كانت » الذي اعتبر ان الجمال انفعال او شعور في رأيه . وقد قال روسو المربي المعروف في كتابه (اميل) « ان الغرض الاساسي من تربية اميل ان اعلمه كيف يشعر بالجمال » .

ولا تزال دراسة الجمال جزءاً من الدراسات الفلسفية ولو انه بدأ بالتدريج جزء منفصل عنها ويكون دراسة قائمة بذاتها كما حدث في علم النفس - وعلم الجمال في الواقع اقرب الى علم النفس منه الى الفلسفة واذا نحن قسمنا المعرفة الانسانية الى اربعة اقسام رئيسية نستعرض فيها كل الدراسات الفلسفية لوجدنا ما يأتي :

اولاً علوم تبحث في طرق التفكير والاستنباط والاستقرار كالرياضة والمنطق

ثانياً - العلوم الطبيعية وعلم الحياة - كالكيمياء والطبيعة وعلم النفس وكلها تبحث الحقائق ويستخلص منها قوانين ونظريات .

ثالثاً - العلوم التاريخية - كعلم طبقات الارض والتاريخ وتبحث في الحوادث الهامة التي اعترت الكرة الارضية والانسانية .

رابعاً - العلوم التطبيقية التي تبحث في الاهداف البشرية ودوافع النشاط الانساني وتشمل هدفين رئيسيين هما : ا - علم الاخلاق او خلق الانسان - ب - الفن ومهارة الانسان في تكييف الاشياء بالاستعمال او اشباع الدوافع الباطنية وتشمل القيم الانسانية كالجمال والخير .

والجمال علم من العلوم يدفع اليه الدافع الغريزي في الانسان من جهة

حب الاستطلاع لتعرف سر الخلق ، كما انه يمتاز بالتعبير عن الفن بواسطة اشياء حسية تستجيب لها احياناً حياتنا الوجدانية .

والمقصود من التربية الجمالية هو انماء عاطفة الجمال الكامنة في النفس ويكون ذلك بطريقتين :

ا - تقديرنا للجمال . ب - انتاجنا لهذا الجمال .

من هذا نرى ان التربية الجمالية لا تقتصر على تنمية القدرة على تقدير الجمال فحسب . بل تعمل ايضاً على تشجيع الابتكار والابداع .

وليست التربية الجمالية بأقل اهمية من التربية العقلية او الخلقية او البدنية وذلك لما لها من اثر واضح في الحياة . فالحياة ان خلت من الفنون الجميلة من رسم وتصوير ونحت وشعر وموسيقى اصبحت جافة لا ذوق لها . فالفنون تعمل على ترقية الحياة وتهذيبها فلا تجعلها جافة فنسأم منها . والطبيعة نفسها لم تكن جافة عندما احاطتنا بجمالها فكأنما اوحت الينا بشكل يجب ان يكون موضع تقديرنا هو الجمال .

والتربية الجمالية وسيلة هامة تساعد على قضاء وقت الفراغ فالذي لا يقدر الجمال في صورة من صوره المختلفة ولم يشجع على الانتاج اذا كان لديه الاستعداد لذلك فانه يعبث في وقت فراغه . اما ذلك الذي احس الجمال ونمت فيه عقيدة تذوقه فانه يتحين الفرص التي يخلو فيها لنفسه لكي يستمع الى قطعة موسيقية او يصور ما يجيش بنفسه فيلقي قصيدة او قطعة نثرية وقد يقضي الفراغ متمتعاً بقراءة قصة أديب . كما انها تصرف الشباب وخاصة من بلغ دور المراهقة عن الأندماج في الغريزة الجنسية وتدفع الى مثالية سامية . وهي بجانب ما تقدم وسيلة من وسائل التعبير عن النفس بما فيها من انفعالات وتحقيق رغبات كامنة . فالانسان يمكنه ان يعبر عن مكنونات نفسه بالرسم او الأدب او الموسيقى ولهذه الفنون علاقة واضحة بالوجدان اذ هي وسيلة من وسائل التنفيذ وتتجلى تلك الحقيقة بوضوح في مرحلة البلوغ فيجب اتخاذها وسيلة للاعلاء والتسامي فتفتح ميادين الجمال امام الشباب فيجدون فيها لذة ومتعة .

واقدمها كلمة صريحة للقائمين على التعليم والمربين عامة . ان الطبيعة باشكالها المختلفة مملوءة بمناظر الفتنة ولكن المدارس لم تصنع شيئاً حتى توقظ في الاطفال هذه العاطفة . وان عدم العمل على تذوق الجمال هو اهمال لتربية عاطفة الجمال وهو فقدان للسعادة ذاتها .

حسين محمد توفيق
دبلوم في التربية والفنون

ثورة !!

•

بيَ سخطٌ على الورى والوجود بيَ حقدٌ على الطغـاة العبيد

هـائج قلبي الحزين ليرمي في ظلال الجحيم ثقـلَ القيود

ثائرٌ قلبي العنيـدُ على الظلـم مشوق لبعث نور جـديد

يفلتُ النفسَ من قيودٍ ثقـال رنَّقت صفوهـا بسمٍّ الجحود

ينقـذُ الروحَ من عذاب أليم أججتـهُ عواملُ التنكيد

أنا أقلي هـذا الوجودَ لأني لم أَشِمْ (١) فيه أيَّ معنى سعيد

فادن يا موتُ يا مخلصُ مـني وأرحني من عـالم منكود !!

دعد الكيالي

---

(١) لم أشم : لم أر

النقود

•

اصبحت المادة ركناً اساسياً في حياة الفرد في عصرنا الحاضر ، لانها الوسيلة التي تحقق الحياة المرفهة اللائقة بالانسان . وليت الامر لم يتعد هذا الحد الطبيعي المعقول بل تجاوزه عند الكثيرين من الناس الى اعتبار المادة غاية يسعون اليها ، عاملين على الاستئثار بها ، متبعين شتى الوسائل للوصول الى غايتهم ، حتى لقد اصبحت النقود مقياساً يقاس به قيمة الفرد في المجتمع . فكون الانسان غنياً يستلزم كونه – في عرفهم – شخصاً محترماً ونزيهاً ، يحظى بالتقدير الذي يتناسب مع ثروته ! ، وانه من غير شك مقياس باطل .

ترى ما هي النقود ؟ وكيف نشأت وتطورت ؟ وهل كانت فيما سبق كما هي عليه الآن من حيث الشكل والنوع والقيمة ؟ ذلك ما ساغنيك مشقة البحث عنه ايها القارىء العزيز فيما يلي :

عرف أحد الاقتصاديين الامريكيين النقود بانها « وسيلة المبادلة » فكل ما يؤدي هذه المهمة يعتبر نقوداً بغض النظر عن نوعها وشكلها ولونها ، بيضاء كانت أم سوداء صلبة او رخوة ، حيواناً كانت او نباتاً او معدناً . وقد انتقد الاقتصاديون هذا التعريف لقصوره واستناده على وظيفة واحدة من وظائف النقود ، في حين ان من وظائفها ايضاً ، انها تستعمل وسيلة لمقياس قيم الاشياء ، فالسلعة الاغلى قيمة هي التي تدفع عنها مقداراً اكثر من النقود بالنسبة لغيرها ، والنقود أداة للوفاء والادخار ايضاً ، لذا فقد عرفت بانها « اداة لقياس قيم الاشياء ومبادلتها ، وهي وسيلة للوفاء والادخار » (١) وهذا التعريف يستند على وظائف النقود ويشملها جميعاً .

نشأة النقود وتطورها التاريخي : كانت المبادلة وهي اهم وظائف النقود تتم

(١) الاقتصاد السياسي ج ٢ للدكتور جابر جاد عبد الرحمن .

اولاً طبقاً لنظام المقايضة ، اي مبادلة سلعة باخرى . كان يملك زيد كمية من الحنطة يرغب مبادلتها مع كمية من التمر يملكها عمرو . وكانت هذه الطريقة تفي بالمرام في العصور الاولى ، حيث كانت كل عائلة تنتج ماتحتاج اليه دون الاستعانة بالآخرين الا نادراً ، ولما تقدم الانسان في سلم الحضارة والمدنية ، وساد نظام تقسيم العمل ، وتخصص الافراد بالعمل الذي يجيدونه ويرغبون في ادائه ، زادت الحاجة الى المبادلة ، فاصبحت المقايضة لا تفي بالمرام لصعوبة تطبيقها .

اولاً : من حيث صعوبة توافق رغبتي الطرفين المتعاملين ، ففي نظام المقايضة يقتضي كون كل شخص يرغب في نفس السلعة التي يملكها زميله الآخر ، وقد لا يحدث هذا عملاً ، اي قد يكون لدى احد الاشخاص كمية من الشعير ولدى الآخر كمية من التمر ، فيكون احدهما لا يرغب في سلعة صاحبه انما هو في حاجة الى غيرها . ثانياً : وثاني صعوبات المقايضة هي صعوبة التوافق بين قيم الاشياء المعدة للمبادلة ، كأن تكون السلعة التي مع احد الطرفين اكبر قيمة من السلعة التي مع الآخر ولا تقبل التجزئة حتى يعطيه بقدر قيمة السلعة التي يحتاجها ، كأن يكون مع احد الاشخاص بقرة يريد مبادلتها مع مقدار من الحنطة ، فيحصل ان تكون قيمة البقرة اضعاف قيمة كمية الحنطة التي يملكها الآخر . ففي هذه الحالة لا يستطيع صاحب البقرة ان يعطي نصفها او ربعها لصاحب الحنطة حتى يحصل على ما يريد . ثالثاً : ومن صعوبات المقايضة ايضاً صعوبة تقدير قيم الاشياء المعدة للمبادلة ، ولم تكن هناك وسيلة لتقدير قيم الاشياء سوى مقارنتها بعضها بعضاً ، وهذا يحتاج الى مجهود كبير وغالباً ما يكون التقدير تنقصه الدقة ، مما ادى الى ارتباك المعاملات ، واستغلال البسطاء .

ازاء هذه الصعوبات فكر الناس في ايجاد طريقة للتخلص منها بالبحث عن مال وسيط او اداة لتقدير قيم الاشياء فهداهم تفكيرهم الى استعمال النقود . فاصبحت المبادلة عبارة عن عمليتي بيع وشراء ، وتقدر قيمة الاشياء جميعاً بالنسبة لشيء ثابت هو النقود ، فاستعمال النقود كان اذن وليد الضرورة المحضة .

اطوار النقود : مرت النقود بثلاثة ادوار : الدور الاول : وفيه استخدمت العملة قبل استعمال المعادن ، الدور الثاني : ويبدأ باستعمال المعادن ، الدور الثالث ، وفيه استعملت النقود الورقية .

العملة قبل استعمال المعادن : لجأ الناس في هذا الدور الى استعمال اكثر

السلع رواجاً بينهم ، واستعملوها كنقود ، لذا فقد اختلفت هذه السلع باختلاف البيئة ، فكانت الشعوب التي تشتغل بالصيد تستعمل الجلد والفراء ، والتي تشتغل بالزراعة تستعمل القمح والذرة والتمور ، واستعملت الشعوب الراعية الاغنام والمشتغلة بالصيد الاسماك . ولهذه النقود عيوب كثيرة منها : انها صعبة الحمل ، وغير قابلة للتجزئة . وما تزال آثار هذا الدور باقية حتى الآن ، اذ يستعمل شعوب اواسط افريقيا الزنوج نقداً ، وكذلك بعض سكان جزر المحيط الهادي يستعملون الاحجار الضخمة المنحوتة كعملة ، ويضعونها في ابواب منازلهم لتدل على مبلغ ثراء كل منهم .

استعمال المعادن : تطورت العملة في هذا الدور تطوراً ثنائياً – من حيث الشكل والنوع – ، فقد استعمل الحديد والقصدير اولاً ثم النحاس والبرونز ثانياً. وكانت النقود التي تصنع من هذه المعادن تفي بالغرض المطلوب نظراً لضيق المعاملات ، فلما اتسعت وانتشرت التجارة بدأوا باستعمال المعادن النفيسة كالذهب والفضة ، فاصبحت النقود المصنوعة من المعادن الاولى تستعمل للمعاملات البسيطة اما النقود الفضية فكانت تستعمل للمعاملات الكبيرة في حين اقتصرت النقود الذهبية على المعاملات الكبيرة جداً ، وخاصة فيما يتعلق بالمعاملات الدولية . وظلت النقود على هذه الحال حتى القرن التاسع عشر الذي زاد فيه الانتاج زيادة كبيرة بفضل استعمال الآلات الميكانيكية الحديثة في الصناعة ، واستعملت وسائل النقل الحديثة ، فقلت اهمية الفضة نظراً لضآلة قيمتها الى جانب الذهب ، فاصبحت عملة ثانوية واحتل الذهب المكانة الاولى في هذا المضمار .

ولقد تطورت النقود في هذا الدور من ناحية الشكل أيضاً ، فقد كانت تصنع أولاً على شكل قضبان مستطيلة او حلقات ، ولا بد من وزن قطعة النقود في كل معاملة ، ثم اصبحوا يزنونها مقدماً مع وضع اشارة عليها تدل على مقدار قيمتها . واستعمل الرومان النقود على شكل أقراص مسطحة ، والعرب على شكل اقراص مستديرة ، وكان اول من ضرب النقود المستديرة هو عبد الله بن الزبير ، ونقش على أحد وجهيها محمد رسول الله ، وعلى الآخر « أمر الله بالوفاء والعدل » .

وقد كان الاهلون من تجار وصيارفة يقومون بمهمة نقش النقود ثم اخذت الحكومات هذا العمل على عاتقها .

استعمال النقود الورقية : وجد الناس ان النقود المعدنية اصبحت لا تفي

بالغرض المقصود من حيث صعوبة حملها ، وخاصة في المعاملات المتعلقة بالبلدان البعيدة ، وقد وجد انه من الافضل أن تستبدل بالنقود الورقية بعد ان تصدق الحكومة على قيمتها ، على ان يكون لها رصيد معدني مساوٍ لها ، ويكون لحامل النقود الورقية الحق في صرف قيمتها ذهباً في أي وقت يشاء . ومع ذلك فقد تضطر الحكومات في أوقات الازمات المالية الى اصدار اوراق نقدية دون ان يوجد لها رصيد معدني في مقابلها ، ودون ان يكون لصاحبها الحق في صرف قيمتها ذهباً في يوم من الايام ، وتستمد هذه النقود قيمتها من تدخل الدولة وفرضها السعر الالزامي ، وتسمى هذه النقود بالنقود الالزامية ، وذلك ما حدث في ايران في عهد حكومة الدكتور مصدق السابقة .

نوری السعودی



متى يدافع الشعب ؟

•

دعا بعض أمراء أوربا وزيره ذات ليلة وقال له : لقد علم قلم المخابرات من مصادر وثيقة أن العدو مقبل لغزونا ، فاذهب وأعلن التعبئة العامة وجنّد كل فرد قادر على حمل السلاح .

فتلكأ الوزير الجريء ، فقال له الامير : مالي اراك واجماً ؟ افصح .

فقال الوزير الجريء : يامولاي لو علم الشعب ان العدو مقبل لهلّل وكبّر.

قال له الامير : وكيف ، أتتهم الشعب بفقدان الاحساس الوطني ؟ قال الوزير الجريء : اسمح لي ان اصارحك بالحقيقة المرة ، وهي ان الشعب لا يرى فارقاً كبيراً بينك وبين العدو المهاجم ، لقد صادرت حريات الشعب وحرمت عليه ابسط الحقوق المدنية ، واستوليت على اراضيه ووزعتها على ندمائك وسمارك ، فكيف ادعو الشعب للدفاع عن امير لا يجد في حكمه شيئاً من الاطمئنان والحرية والعدل ، او للجهاد في سبيل بلد لا يملك شبراً من اراضيه ؟

فأطرق الامير برهة ثم قال لوزيره : أذهب فوراً واعلن الدستور ووزع الأراضي على الفقراء والمحتاجين ، ففعل الوزير .

وبعد ايام اقبل العدو المهاجم فاعلن الوزير التعبئة العامة ، فاحتشد الشعب صغاراً وكباراً ، رجالاً ونساء . وخرجوا الى العدو وأفنوا جنوده عن آخرها وهزموه شر هزيمة .

« عجوز »

١ – صاحبنا المتشاعر

●

في مقهى « نادي الحلمية » كنا حين نفرغ من اعمالنا ، نجلس لنسمر ، وكان يغشى النادي كثير من الادباء والشعراء امثال الاساتذة كامل كيلاني والمرحومان الهراوي وصادق عنبر والأسمر والمرحوم أحمد الزين وشوقي أمين وعباس خضر ، وكان الجدل في بعض الأحيان يحتدم والنقاش يشتد والبراهين والحجج يصدم بعضها بعضاً حول معنى بيت من الشعر او رواية آخر ، ومعنى كلمة هل هي عربية او غير عربية ، او غرض من الأغراض من بدأ به ومَنْ من الشعراء زاد عليه ، وكثيراً ما كنا نتغلغل في طبائع الشعراء وبيئاتهم واخلاقهم لنحكم عليهم حكماً عاماً ، وغالباً ما كنا نؤجل القول الفصل فيما نخوض فيه الى الليلة المقبلة – كقصة الف ليلة وليلة – حتى نرجع وفي ايدي البعض منا نصوص ثابتة تعزز رأيه وتثبت حجته ، كل ذلك كان يدور بصوت خفيض واخرى بصوت حاد مرتفع كما نفعل الآن في حجرة اللغة العربية بثانوية الشويخ بالكويت .

وفي الجهة المقابلة لمجلسنا في ذلك النادي كان يجلس فتى وسيم الطلعة ، قوي البنية ، جذاب الملامح ، يدل مظهره على حسن أدبه وطيب خلقه ... وكنا نراه في اغلب احواله يمسك في احدى يديه بقلم ويمسك باليد الاخرى ورقة ، وتارة يضع القلم والورقة امامه وطوراً يدسهما في جيبه ، ثم يخرجهما ويضع راحته على جبهته كأنه يتذكر شيئاً نسيه ، وكثيراً ما كان ينظر الى السماء في ذهول وسكون كأنه يستوحي نجومها فكرة ندّت عنه او خيالاً يرغب في تصويره. وفي كل الاحوال ، كان إما يكتب كلمة او يمحو اخرى ، وحينما ينفرط عقدنا ويغادر النادي اغلبنا ، أواصل السهرة انا وشوقي أمين ، فيدنو منا هذا الشاب ويعرض علينا ما في ورقته من شعر – كما يدعي – ويقسم انه صاغه في هذه الليلة وفي هذه الجلسة ، فنتناول

منه الورقة ونقرؤها فلا نجد ما فيها شعراً ولا نثراً ولا زجلاً ، بل نبحث عن معنى يرمي اليه في الجمل المتراصة جنباً الى جنب فلا نجد شيئاً مما نريد، فنعجب لذلك المتشاعر المسكين ، ونرثي لحاله ونعطف عليه ونرحم تضرعه الذي كنا نلمسه فيه ، فنسأل عن غرضه في شعره فيفهمنا غرضه ونصوغ له ابياتاً اربعة او خمسة في الغرض الذي اراد فيطير فرحاً وينحني - وهو يودعنا - شكراً ، وينشر شعره هذا في جريدة او مجلة .. ولما آنس صاحبنا المتشاعر عطفاً عليه ورعاية له اندمج فينا وانضم الى حلقتنا ، وجعل أول مرة يسمع النقاش وينصت الى الحوار محركاً رأسه بوقار مؤمنا على ما نقول ، كأنه يرينا انه فاحص ، دارس عالم بالمسائل التي نخوض فيها ، ولم لا ؟ اليس هو الشاعر الذي تنشر له الصحف بين الفينة والفينة ابياتاً مذيلة باسمه ! ! وكان زميلي شوقي أمين على جانب عظيم من الخبث فاراد ان يكشفه لنفسه ويعرفه بشخصه ، فأتى ببيت من الشعر لا يغيب عن اذهان تلاميذ المدارس ، قال شوقي موجهاً الكلام الى صاحبنا المتشاعر ما قولك في رثاء امرىء القيس لسعد زغلول ، اسمع اليه حين يقول :

ايه يا ليل هل شهدت المصابا كيف ينصب في النفوس انصبابا ؟

قال صاحبنا المتشاعر : انه شعر لذيذ . . . ! لذيذ جداً ثم اخذ يفرط في الكلام عن امرىء القيس الذي كما قال - عاش على ضفاف النيل ! ! ولم نستطع ان نمسك عن اطلاق الضحكات العالية .

ظل صاحبنا المتشاعر يجاورنا ويجالسنا ويسارنا في النادي ليلاً فتقرأ اسمه في الصباح تحت ابيات من الشعر نسجناها له ، فلما المت بنا حوادث انفرط على اثرها عقدنا ، وتركنا السمر في هذا النادي لم نعد نقرأ لصاحبنا شعراً فقد ترك الشعر او الشعر تركه أو قل تركه مؤلفا الشعر له .. اذ كان كصاحب الرجلين الصناعيتين اذا نزعتا منه انكمش مكانه فلا يعدوه ولا يبرحه ، وانى له المشي وقد فقد اسبابه وضاعت منه مقوماته ، وهذا مصير كل طفيلي على كل فن من الفنون .

وفي يوم من الايام كنا نسمر أنا وشوقي أمين في حي من احياء القاهرة فرأينا صاحبنا يتأبط كتباً ومجلات فلما رآنا ابتدرنا بالتحية قائلاً : أين انتم ؟ فقلت له : أين شعرك فقال لي شوقي وأين لياليك ؟

٢ - دعي الصحافة الاعظم ! !

ولم لا يكون دعي الصحافة الاعظم ؟ أليس هو ذلك الخامل التافه الذي صار صحافياً يكتب وينتقد ؟ إنه ليعز على هذا القلم ان ينعته بالنكرة ، اذ النكرة لها

وجود ثابت ، أما ذلك الدعي فلم يكن شيئاً مذكوراً ، أو قل انه كان شيئاً ذائباً في المجتمع المصري لا يؤبه له ولا يحس به احد ولا يدري الزمان مكانه.

في إبان الثورة المصرية ، حينما كان الشعب كله يطالب باستقلاله ويهز الاستعمار هزاً عنيفاً يزلزل اركانه ويحطم بنيانه ، حينذاك جاء المستعمرون باصنام جعلوها حزباً واستعملوها وزراء يغرقون ما يمكن اغراقه مما هو طاف فوق سطح الماء من الاماني الوطنية ، وكان ان انشأ حزب الاصنام او لسان المستعمرين صحيفة تنطق باسمه وتصور الباطل حقاً وتقلب الاوضاع وتزين للناس حب المغتصبين وتزعم البلاء الذي ينزله هذا الحزب على ابناء الوطن نجاحاً للامة ونوراً يهتدي به الضال في احلك الليالي . وكان بين اعضاء حزب الاصنام وزير تركي الاصل والدم ومع ان اسرته بمصر قد مر عليها جيل او اكثر من جيل الا ان هذا العاتي المغتر بنفسه كان يعتز بتركيته ويحتقر مصريته فيما بينه وبين نفسه ، أما امام الامة فهو أشد حماساً للوطن واماني الوطن من مصطفى كامل ومحمد فريد .. !

بحث هذا الوزير أو الصنم عن كاتب يهاجم به اعداءه ويخرس السنة منتقديه فساق له الحظ ذلك الأمعة او الصحافي الدعي (....) وما ان عرف هذا بغيته حتى اخذ ينشىء المقالات التي هي باسلوب تلاميذ المدارس اشبه ولكنه كان يفعمها سباً وشتماً موجهاً الى الاطهار الابرار من رجال الامة المجاهدين ويلصق بهم تهماً هي جديرة بان تمسك بتلابيب وزيره المزيف أو صنمه المنحوت ، واذ ليم على ذلك عاند وكابر واوغل في الذم وغالى في السباب .

ان هذا الصحافي الدعي لم يتعلم الا قليلاً يؤهله لقراءة « جريدة » فكيف كان يكتب المقالات ؟ انها لم تكن مقالات ولكن عبارة عن سب وشتم تافهة المعنى واهية التركيب ترضي ولي نعمته ومقيل عثرته ؟ ولو لا سيده الذي وضعه في هذا المكان الذي ما جعل الا للمثقفين ، اقول لولا سيده الصنم او الوزير الصناعي لبقي كما كان في عرض الشارع ، كانه بقية من حطام او سقط من قمامة ، اذن فلماذا لا يصول هذا الدعي ويجول في ارض خلا بها وحده ، لان الاحرار من الكتاب اذا كتبوا سجنوا فلينتهزها فرصة مواتية ويكون كاتباً عنيداً ومناضلاً صنديداً ، اليس هو الذي ردّ على الاستاذ الكبير فلان ؟ بقارص الكلم عالماً ان الاستاذ الكبير اذا رد عليه باسلوب مثل اسلوبه احتواه ظلام السجون ، لان الصحافي الدعي هذا يعلم علم اليقين انه لحساب من يكتب وبأمر من يعمل وبارادة من يحرك

قلمه ؟ وبعبارة اوضح ، كان يعلم من الذي يمسك بيده فيجر له قلمه ، مسكين ذلك الدعي انه لا وطن له ، فليجعل خداعه ومكره وخدمة المستعمر الذي اذ له وطناً له يعيش فيه ولو عيشة الحشرات.

ان الشعب كان يعرف ان هذا الصحفي التافه غير مصري وان سيده غير مصري ايضاً ،وما دام المحرض غير وطني ،والكاتب مثله غير وطني، فهل تعتقد ايها القارىء الكريم انهما يريدان بالوطن خيراً ،حينما يسبون الافذاذ من العاملين المجاهدين.

لقد تنبه الشعب الى ذلك ووعى ما يدور حوله وعلم ما يدبر له في الخفاء وعلم ما يريده اولئك الذين لا هم لهم الا الحياة الرضية السعيدة على اشلاء الوطن المحطم وعلى حطام الوطن المنهار.

علم الشعب ذلك فثار وحطم فيما حطم تلك الاصنام التي نحتها المستعمر فاصبحت هشيماً تذروه الرياح. ولو انهم عاشوا في الوطن كاهله وتركوا الفتن جانباً لما احس بهم احد ، ولكان حظهم اليوم كحظ امثالهم ما يحفظ عليهم دمهم ومالهم، ولكن الجاهل عدو نفسه ومن عاند وعادى نفسه جنى عليها جناية ترديها .. وهكذا ضاع الصنم وضاع معه دعي الصحافة.

عبد الله المشلوطي
عضو البعثة المصرية بالكويت

الكيمياء قديما وحديثا

•

«الى طلابي بالمدرسة الثانوية بالشويخ خاصة والى شباب الطليعة في الكويت عامة، أهدي هذا المقال»

ما هي الكيمياء ؟ .. انها احد فروع ما نسميه « العلوم الطبيعية Natural science » . ولكن لعلكم تتلفتون في دهشة وتتساءلون : وما هي العلوم الطبيعية هذه ؟ لقد فسرت الماء بعد الجهد بالماء . العلوم تلخص مجموع المعرفة الانسانية وتمتد الى كل ما يمت للطبيعة بصلة . وهي ليست مجرد كمية من المعلومات عن الطبيعة ومحتوياتها تحصل عليها الانسان بالملاحظات والمشاهدات والتجارب، ولكنها حقائق في جميع فروع الطبيعة والحياة منظمة تنظيماً خاصاً بحيث تتعاون حقائق كل فرع مع حقائق الفرع الآخر ،فما يحدث مثلاً عند خلط مواد بعضها ببعض خارج جسم الحيوانات والنباتات يفسر ما يحدث داخل هذه الكائنات الحية . وما يحدث في هذا الكون من دوران افلاك بعضها حول بعض يفسر ما يحدث داخل كل مادة من حيث تركيب ذراتها ؛ كل منها تعتبر نموذجاً مصغراً للمجموعة الشمسية . فهكذ الكيمياء في خدمة علم الحياة والفلك في خدمة الطبيعة ..

واي فرع آخر من فروع العلوم تنظم حقائقه في نظام متكامل يتعاون مع شبيهه في الفروع الاخرى . وعلى ذلك يمكن القول على حد تعبير لغة الموسيقى بأن العلوم تكوّن وحدة هارمونية harmonious unity تتعاون فيها أنغام البيانو مع انغام الكمان تماماً كما تخدم بعضها، وتتعاون في نظام متكامل تام حقائق الكيمياء مع حقائق علم الحياة مع حقائق الفلك مع حقائق اي فرع آخر من فروع العلوم الطبيعية .

ولكن اخشى ان تفهموا ان كل الحقائق وأي حقائق تتعلق بطبيعة هذا العالم تكوّن ما سميناه بالعلوم . فلكي تكون هذه الحقائق ، التي تتعلق بأي موضوع ، حقائق علمية يجب تنظيمها وترتيبها . وهذا ما كان يتجاهله الاقدمون في العصور القديمة والوسطى ، ولذلك فمعظم ما كان يسمى « علماً » في هذه العصور ليس له من صفات العلم الا التسمية . فكانت الحقائق في هذا الزمن ينقلها كاتب عن كاتب دون ادنى محاولة لتحقيقها او تنظيمها او ترتيبها لتكون « علماً » .

ولكن في العصور الحديثة وضعت معظم هذه الحقائق تحت الاختبار بالتجربة Experiment . والتجربة ما هي الا طريقة من طرق الملاحظة تستخدم في حالتين : نختبر صحة حقيقة من الحقائق المنقولة الينا من الماضي في الحالة الاولى ، ونستخدم التجربة في الحالة الثانية عندما يتعذر تكرار الملاحظة كما هي في الطبيعة ؛ وفي هذه الحالة ننقل جزءاً من الطبيعة Nature الى المعمل ، ونجري التجربة التي تمثل اصدق التمثيل ما يحدث في الخارج ، وبذلك تتاح للعالم فرصة الملاحظة كما شاء وحسبما أراد وذلك بواسطة التجربة . فلكي ندرس مثلاً الكهربية الجوية ، وهذه لا تحدث الا اذا كان هنالك رعد وسحب وبرق ، ليس من اللازم ان ينتظر العالم اسبوعاً او شهراً او عاماً حتى يحدث رعد وبرق ليكمل استخلاص ما يريد من الحقائق عن هذه الظاهرة الطبيعية الذي فاته اثناء حدوثها اول مرة ، بعض الملاحظات اللازمة لتتبلور الحقيقة العلمية ، وانما عليه ان يولد كهربية في المعمل بتجربة ويحدث برقاً صناعياً ويهيىء ظروفاً صناعية حتى تتاح له الملاحظة مرة اخرى .. وهذه هي الحالة الثانية التي يجوز فيه ان نلجأ الى التجربة . والعالم الكيماوي بوجه خاص لن يتقدم ابداً في ابحاثه اذا اعتمد فقط في ملاحظاته على الظواهر الطبيعية كما هي موجودة في الحياة وكما تحدث في الطبيعة . ولم يستطع ان يحصل على ملاحظاته تحت ظروف يتحكم فيها هو وليس من طريق الى هذه الظروف الخاضعة لمشيئة العالم او الباحث الا بالتجربة . وبواسطة التجربة يمكن للباحث ان يحقق تفاعلات بين قوى مختلفة وصور مختلفة للمادة مما لا يكون معروفاً في الطبيعة . وبواسطة التجربة يمكن لنا ان نعيد ملاحظاتنا بعد ان نبعد من جو الملاحظة العوامل المعقدة التي تتوفر اذا كانت الملاحظة في الطبيعة ، وبذلك يمكن ان نلاحظ باستخدام التجربة تحت ظروف بسيطة سهلة خالية من التعقيد . فالتجربة في الواقع ما هي الا ملاحظة مضبوطة .

والحقائق سواء جمعناها بالطريق المباشر اي بالملاحظة المباشرة في الطبيعة ذاتها او جمعناها كنتائج للتجارب العلمية ايضاً ليست علماً . وانما فقط معرفة .

فالطريقة العلمية او الاسلوب العلمي Scientific method الذي نحصل عن طريقه على « العلم » هي ان نتناول هذه الحقائق التي جمعناها لنصل الى ما نسميه « الفرض Hypotheses » ؛ واعني بذلك ان توضع اقتراحات تعلل وتربط بين مجموعة من الحقائق . فمن الشائع ان هدف « العلم » هو تفسير الأشياء وذلك بتفسير حدوث مجموعة من الظروف والظواهر على انها نتيجة لسبب هو مجموعة اخرى من الظروف والظواهر . وبالرغم من ان كل نتيجة تعود الى سبب فانه يجب ان نعلم ان هذا السبب بدوره نتيجة ترجع الى سبب آخر . وبذلك نجد الأسباب والنتائج تنتظمها حلقة لا تنتهي من الحوادث . ولما كان مدى ما يفهمه الانسان في هذا العالم المعقد محدودا فاننا – حتى الآن – بعيدون جداً عن فهم الظروف والاسباب والنتائج الحقيقية للظواهر الطبيعية . ولتحقيق هذا الفرض يجري الباحث تجارب علمية أخرى في ظروف مختلفة ، فاذا فشلت هذه التجارب في تدعيم الفرض وجب اغضاء النظر عنه والبحث عن فرض آخر تنتظم خلاله هذه السلسلة من النتائج والمسببات ثم وجب التحقق من صحة هذا الفرض الجديد باجراء عدد آخر من التجارب .

أما اذا اتفقت نتائج التجارب مع هذا الفرض فإنه يصبح نظرية Theory وفي هذه المرحلة تكون بعض الحقائق التي تكون جزءاً من المعرفة قد اتحدت وعممت في نظام متكامل تام هو النظرية؛ ولكن يجب وضع هذه النظرية ايضاً تحت التجربة لتحقيقها . فاذا ظهرت بعد ذلك حقائق لم تخضع في التجربة لهذه النظرية اصبحت لاغية ، ووجب احلال نظرية اخرى محلها او على الاقل تعديلها بما يساعد على ادخال الحقائق الجديدة الى رحابها . فاذا امكن للنظرية ان تقف امام كل حقائق جديدة تظهر ، وتجارب جديدة تنتظم هذه الحقائق اصبحت قانونا Law . وعلى ذلك يمكننا ان نلخص الاسلوب العلمي او الطريقة العلمية في ٤ خطوات :

١ – ملاحظات وتجارب لاستخلاص حقائق .

٢ – تنظيم ومقارنات بين هذه الحقائق .

٣ – وضع الفرض لتنتظم خلاله هذه الحقائق المنظمة المرتبة .

٤ – تحقيق الفرض والوصول الى النظريات والقوانين .

والكيمياء التي نحن بصددها في هذا المقال تخضع في ابحاثها لكل ما سبق. فما

هي الا فرع من فروع العلم. ولكن اذا تعرضنا للكيمياء قديماً نجد انها حتى نهاية القرن السابع عشر لم تكن تسير في ابحاثها مع خطوات الاسلوب العلمي . ومع هذا فالكيمياء عرفت من قديم لا كعلم ولكن كفن . فاستخلاص المعادن الشائعة من خاماتها ، وتحضير العقاقير الطبيـــة من النباتات من العمليات المعروفة منذ الحضارات البدائية .

وفلاسفة الاغريق العظام كانوا اول من كتب اشياء نستطيع ان نقول انها تشبه تقريباً علم الكيمياء، وذلك لانهم لم يكونوا عمليين، ولم يهتموا بجمع الحقائق عن طريق التجربة او بالتحقيق العملي لنتائج نظرياتهم الفلسفية . ففي عام ٤٠٠ قبل الميلاد اقترح ديمو كريتس Demo critus أول نظرية ذرية عن تركيب المادة ، وكان هذا بداية المساهمة في علم الكيمياء ، حيث ان ديمو كريتس حاول بذلك ان يشرح بنظريته ما كان يعتقدونه حقائق تتعلق بسلوك المادة . وبعد ذلك تظهر نظرية العناصر الاربعة لارسطوطاليس وهي تعتمد على قدر بسيط من الاساس الحقائقي وقدر كبير من النظريات الفلسفية . وهذه النظرية ايضاً كانت محاولة جديدة لشرح طبيعة المادة . وقد شاعت هذه النظرية حوالي ٢٠٠٠ من السنين ، وقد زعمت ان جميع انواع المادة تحتوي على العناصر الاربعة: التراب والهواء والنار والماء. وكان كل من هذه الاربعة يعتقد في ذلك الحين بانه عنصر لا يمكن الحصول منه على ما هو ابسط منه . والحقيقة ان هذه النظريات قد عاشت لمدد طويلة ليس لانها اثبتت صلاحيتها للبقاء طول هذه المدة، ولكن لأنها لم تجد الرغبة الحقيقية في اختبار صحة اي واحدة منها .

وقد وجدت عدة اضافات في علم الكيمياء القديمة Alchemy وذلك فيما كتبه بعض الكتاب في الاسكندرية والاجزاء الشمالية من القطر المصري او مصر السفلى كما تسمى احياناً وذلك خلال القرون الاولى من العصر المسيحي ؛ وهنـــا في هذه العصور وهـذه البقاع ظهرت الفنون المقدسة ، وكانت كلمة شيميا Chemeia تستخدم لأول مرة عند ذلك لتدل عـلى هذه « الفنون المقدسة » . والآن لنترك فسحة في المقال لنتكلم عن الكيماويين القدامى Alchemists .

عندما فتح العرب مصر وكانت في ايـــدي الاغريق انتقلت كتب هؤلاء المكتوبة عن الكيمياء القديمـة الى الاعراب وترجمت الى لغتهم . والمعروف عن العرب انهم قوم عمليون وبدون شك انه ينسب اليهم دون غيرهم بعض الاكتشافات

الجليلة الاهمية في علم الكيمياء. وربما كان ابو موسى جابر بن حيان الصوفي هو اعظم شخصية كيماوية عربية قديمة، وقد ظهرت اعمـاله مترجمة الى اللاتينية في القرن الثاني عشر. ومن هؤلاء العلماء القدامى العرب ايضاً ابن الهيثم وابن سينا. ومن المعروف ان المعلومات التي اخذها العرب من المصادر المصرية الاغريقية والمصادر البيزنطية ثم نشروها بانفسهم حتى وصلت الى اوروبا وبدأت في اسبانيا على الاخص حركة ترجمة مؤلفات العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر. ومن الاسماء التي لمعت في هـذه الفـترة « البرتوس الكبير » Albertus Magnus و « روجر بيكون » Roger Bacon وهـذا الاخير اشتهر باكتشاف البارود في الغرب و « رايموند » Raymond وهو اول من اكتشف طريقة لصنع الكحول النقي. واشتهرت هذه الفترة من تاريخ الكيمياء بالعناصر الثلاثـة : الزئبق والكبريت والملح؛ وقد تضمنت كتابات جابر بن حيان المترجمة الى اللاتينية ان المعادن جميعها تتكون من الزئبق والكبريت؛ وزعم ان اصل جميع المعادن هو هذان العنصران، وان هذه المعادن تتكون في باطن الارض منهما. وكان من المعتقدات السائدة في ذلك الحين ان كلاً من الذهب والفضة يحتوي او يتركب من زئبق نقي وكبريت نظيف بينما تتكون سائر المعادن الاخرى من كبريت غير نقي؛ ومن هنا نشأت الفكرة التي استعبدت العلماء ردحاً طويلاً من الزمن بانه في الامكان الحصول من المعادن الرخيصة عـلى المعادن الثمينة كالذهب ما دام اصل كل منها هو الزئبق والكبريت. واعتقد الاقدمون ان ذلك يتم بمجرد تغيير نسب الزئبق والكبريت في المعدن الرخيص مع تنقية عنصر الكبريت الموجود في المعدن. وذهبت جهود الكيمياويين بعد ذلك في البحث عن حجر الفلاسفة الذي يساعد على اتمام هـذه العملية. وفي عـام ١٥٢٥ ظهرت مدرسة جديدة من الكيماويين القدامى اخذت تبذل كل مجهودها للحصول على « اكسير الحيـاة » Elixir of life الذي زعموا انه سوف يشفي كل الامراض وسوف يحافظ على الشباب الدائم. ومؤسس هـذه المدرسة من الكيماويين الاطباء هو براسيلزوس Paracelsus وقد عاش في الفترة ما بين ١٤٩٣ — ١٥٤١، وكان اشهر ماقدمه للكيمياء الطبية هو بيانه بقيمة بعض المواد في استخدامها كأدوية. وبهذا فقـد استطاع ان يحول اذهان الكيماويين المعاصرين له من محاولة الحصول على الذهب الى اغراض اخرى اكثر فائدة. وبعد براسيلزوس نجد من مدرسته ايضـاً « ليبافيوس Libarius » وفان هلمونت

Van Helmont وهذا الاخير امتاز بتأصل الروح العلمية في تفكيره وسلوكه ويرجع اليـــه فضل اكتشاف كلمة «غاز» كما انه اول من اكتشف غاز ثاني اكسيد الكربون .

ولن نستطيع متابعة تاريخ علم الكيمياء دون ان نتعرض لنظرية الفلوجستون Phlogiston ووضع هذه النظرية أولا جابر بن حيان ثم عدلها «بيشر» في عام ١٦٦٧ ثم ستاهل Stahl الذي عاش بين ١٦٦٠ – ١٧٣٤ فمن المعروف قديماً ان المادة عند تسخينها في الهواء تصبح كلسا Caly وتسمى العملية تكليسا Calcination وقد فسرت نظرية الفلوجستون عملية التكليس بان هنالك عنصراً يسمى الفلوجستون يوجد في الفلزات واللافلزات وانه اذا خرج هذا الفلوجستون من المعـــدن تكون الكلس مباشرة ويمكن تمثيل ذلك كما يأتي :

معدن – فلوجستون = كلس

ولكي نحصل على المعدن مرة اخرى فيجب ان نؤثر على الكلس بمادة اخرى غنية بعنصر الفلوجستون حتى تعوض الكلس عما فقده من هـــذا العنصر اثناء عملية التكليس . وكان من السائد في تلك العهود ان الكربون من العناصر الغنيـــة بالفلوجستون لأن عند تسخينه لا يتبقى منه الا رماد قليل لانه فقد معظم محتوياته وهي عنصر الفلوجستون . والحقيقة ان هذه النظرية البدائية ممكن لها الوقوف على قدميها في هذا العصر لو استبدلنا بوجود الفلوجستون غياب الاكسجين لفسرنا معظم عمليات الاكسدة والاختزال في الكيمياء الحديثة . ولكن لم تصمد كثيراً هذه النظرية لانها لم تعتمد على الهواء كعامل اساسي لحدوث عملية الاحتراق واعتمدت على الفلوجستون الموجود في كل مادة . ولو انه بذلت مجهودات للمحافظة على هذه النظرية بفرض ان الفلوجستون الموجود في المادة لا يستطيع الخروج وحده وانه لا بد من الهواء لجذبه خارجاً . ومن العوامل التي هدمت هذه النظرية ما كان ملاحظاً من ان وزن الكلس اكبر من وزن المادة مع انه حسب نظرية الفلوجستون كان يجب ان يكون وزن المادة اكبر من وزن الكلس لان الكلس تكون من المادة بخروج الفلوجستون منها . ولكن انصار هـذه النظرية لم يذعنوا لهذه الهزيمة وزعموا ان للفلوجستون هذا وزنا سالبا بمعنى انه اذا خرج من الجسم ازداد وزنه واذا وجد فيه قلل من وزنه .

وتعتبر الفترة الاخيرة من القرن الثامن عشر فترة انتعاش للكيمياء، فقد عرفت

في هذه الفترة وشاعت معظم المواد الكيماوية؛ فقد اكتشف « شيل » Scheele مواد جديدة مختلفة اهمها الكلورين وحامض الايدروفلوريك وحامض الزرنيخيك وحامض اللاكتيك (اللبنيـــك) وحامض الاكساليك وحامض الستريك (الليمونيك) وحامض الطرطريك وحامض التنجستيك كما انه عمل كثيراً على اكتشاف الاكسجين بالرغم من ان الفضل في ذلك ينسب الى العالم الانجليزي بريستلي Priestley الذي استطاع لاول مرة ان يحضر عينات نقية من بعض الغازات المشهورة الاخرى مثل اكسيد النتريك او ثاني اكسيد النتروجين ومثل غاز كلوريد الايدروجين وثاني اكسيد الكبريت ورابع فلوريد السليكون والنوشادر واكسيد النيتروز ولكن تعتبر ابحاثه في الاكسيجين التي اتمها بعده لافوازيه من الخدمات الجليلة التي قدمها للكيمياء، وذلك لان اكتشاف الاكسيجين ودراسة خواصه كان بمثابة المسمار الاخير في نعش نظرية الفلوجستون . ومن الطريف ان نذكر ان بريستلي نفسه كان من انصار نظرية الفلوجستون الى عهد بعيد . ثم عمل بلاك Black في الربع الاخير من القرن الثامن عشر على اجراء التجارب لمعرفة العلاقة التي تربط بين ثاني اكسيد الكربون والطباشير والجير والماغنسيوم وكربونات الماغنسيوم والصودا الكاوية والصوديوم ثم اشتهر بعد ذلك « كافندش » Cavendish باكتشافه تركيب الماء والى لافوازيه يعود الفضل في استبدال نظرية الفلوجستون بنظرية الاحتراق القائمة الآن . ومنذ عهد لافوازيه وعلم الكيمياء ينمو بسرعة ملحوظة مع دقة متناهية وما كان ذلـــك الا لاتباع الاسلوب الصحيح في البحث وهو الأسلوب العلمي الذي ينتهي بالمتبعين له حتماً الى التقدم السريع والتطور الجري‌ء.

ولعل هذه العجالة تؤدي الى فهم شبابنا الكويتي او شبابنا العربي اهميـــة الاسلوب العلمي لا في علم الكيمياء فحسب بل في حياتنـــا الخاصة للوصول الى القوانين التي تكون مثلنا العليا مبنية على تنظيم الحقائق التي تصادفنا في الحيـــاة والنظر اليها نظرة ليست فلسفية بل نظرة واقعية موضوعية تخضع للخبرة وتتعرض للتجديد والتعديل وبهذا نتحرر من جمودنا وينطلق تفكيرنا في آفاق رحبة يتقبل المعقول ويرفض غير المعقول .

عبد الرحمن أبو العلا محمد
B. Sc. في الطبيعة والكيمياء

السير على النار

•

وقعت في جو هانسبرج بجنوب افريقية منذ عهد قريب مساجلة شيقة بين راهب هندوسي يسمى نيادور من ناتال ومستر فكتور رامي ابن راعي كنيسة الاصلاح الهولندية وفي صبيحة يوم المباراة حفرت ثغرة في الارض سعتها عشرون قدماً مربعاً وعمقها قدماً تقريباً وملئت بالخشب واشعلت النار فيه ثم بدأت المباراة عندما هبط اللهب وبدأ الوهج الاحمر يساوي سطح الارض .

وطفق رامي - وهو مشعوذ محترف - يسير عاري القدمين عبر الثغرة ذهاباً وجيئة ست مرات متعاقبة وفي كل مرة كان يركل الجمر المتقد بقدميه وفي الجولة الاخيرة حمل امرأة على ظهره واجتاز بها السطح المتأجج وبعد هذا العرض المثير فحصت قدماه فوجد انهما سليمتان لم يمسهما سوء . ثم جاء دور نيادور الذي عبر الثغرة ثلاث مرات فقط وبعدها انسحب معلناً هزيمته .

وتبدي بعض المصادر شكها من صحة هذه الوقائع رغم ما تطنب به صحف جنوب افريقية عن صحتها ، والواقع ان مشكلة السير على النار هذه قد احيطت

من قرون غابرة بالكثير من الخرافات والرهبة .. فهل يا ترى اساسها الخديعة ؟ ام هل يصاب السائرون على النار بنشوة تطيح بصوابهم ؟ ما الذي يجعل اقدامهم لا تحترق ؟ ثم هل يستطيع العلم الحديث ان يلقي ضوءا على هذه المعضلة الزمنية ؟ كل هذه اسئلة ما زالت الاجابة عنها قاصرة .. الحق اننا لا نستطيع ان نحدد متى ولماذا بدأت طقوس السير على النار فيقال انها وجدت منذ اربعة آلاف عام وما برحت تمارس حتى الآن كتعويذة تدرأ الارواح الشريرة او لابراز عرض خارق للطبيعة ويقال ايضاً انها طقوس موروثة عن اجداد سالفين .

وثمة نوعان من المشي على النار اولهما السير على جمر متوهج والنوع الثاني على حصى محمى وهو شائع في جزائر المحيط الهادي مثل جزر هاواي وفيجي وجزائر كوك ، اما السير على الجمر فاصل موطنه الهند ونراه بشكل بارز في ترنداد وناتال واليابان . ويختلف تنفيذ العملية باختلاف الامصار والعشائر ومؤداها السير طواعية وبلا ضرر يذكر على طبقة من الرمضاء الملتهبة او الفحم المستعر لمسافة تتفاوت بين اثنتي عشر قدماً الى ستين قدماً في حالة الجمر المتقد ولمسافة تتراوح بين اثنتي عشر قدما الى خمسة عشر قدماً اذا كان الطريق مرصوفاً برمضاء تتلظى ؛ ومع هذا فما زال كل من شاهد طقوس السير على النار يرى انها مجرد خديعة فقد اعلن احدهم ان اساس الخدعة ان النار يبدأ اشعالها في وسط الثغرة ثم يمضي وقت طويل تتحول فيه النار عند اطراف الثغرة الى جمر وتكون بالطبع قد خفت درجة الحرارة بمرور ذلك الوقت عند الوسط الذي تبدأ عنده اللعبة . ورأي آخر يؤكد ان اللعبة الخطرة تمثل بنجاح لان السائر على النار يحصن قدميه بمادة كيميائية مضادة للحريق . وحاول كثير من الناس تعليل هذه الظاهرة مبتدئين بالتنويم المغناطيسي وانتهوا الى انها من فعل مادة مخدرة تميت الحساسية . ولقد جرد العلماء اخيراً حملة لتحطيم هذا السر العظيم فاخذوا يقومون بدراسة وافية لهذه الطقوس في الهند واليابان وترنداد واجزاء اخرى من اجزاء الباسفيك . ومن احدث ما وصل اليه العلم في تعليل هذه الظاهرة ان اساسها « نظرية التكور للسوائل » وابرز مثال لها ما نشاهده عندما تتراقص حبات الماء المتكورة على السطوح الساخنة اذ تستمر هذه القطرات في حركتها وتحميها من الاتصال المباشر للسطح الساخن كمية من البخار تحاول الافلات من تحتها . وهذه الحقيقة ظاهرة بوضوح عندما تحاول سيدة ان تعرف درجة حرارة مكواتها بأن تبلل احد اصابعها بلعابها وتمس المكواة الساخنة

دون ان تصاب بسوء لان البلل يتحول الى بخار يقوم كحاجز بين اصبعها والجسم الساخن. ويقال ان السباكين يستطيعون ان يحركوا الرصاص المنصهر براحاتهم المبللة لنفس السبب. ولقد زعموا اخيراً ان اليد حتى ولو كانت نظيفة تماماً نستطيع ان نغمسها في رصاص مذاب فاذا كان ذلك كذلك وثبت صحة هذا الزعم فان ذلك يكون مدعاة لان نصدق قصة السير على النار ولا سيما واننا نشاهد كثيراً من المشعوذين يضعون ايديهم في رصاص منصهر دون ان يصابوا بسوء.

وقد قام اخيراً « مجمع الابحاث الطبيعية » التابع لجامعة لندن وهو يضم لفيفاً من العلماء الثقات بعدة ابحاث على نظرية التكور للسوائل هذه فوجدوا انها نظرية قاصرة.. ثم قاموا بتجربة اعظم واكثر طرافة وكان قوام هذه التجربة الفقير الهندي احمد حسين.. فلقد طلب ذلك الفقير ان يحضروا له خندقاً عرضه اربع اقدام وطوله اثنتا عشرة قدما ونصف وعمقه خمسة عشر بوصة وملئت الحفرة بانواع مختلفة من الفحم ومنها فحم الكوك واشعلت النار وبعد مرور سبع ساعات خمد اللهب وتحولت فوهة الخندق الى طبقة من الجمر الاحمر وكان الجمر يشع حرارة يحس بها المرء تماماً من على بعد اكثر من خمسين قدماً من الخندق وقيست درجة الحرارة فكانت الفاً وسبع وستين درجة فهرنهيتية وفي داخل الاتون كانت الفاً ومائتين وتسعين درجة..

وبعد ان تلا احمد بعض ادعية من القرآن خطا نحو النار ووصل الى نهاية الطرف الآخر في خطوات ثلاث سريعة واستغرقت كل خطوة ثانية وثلاثة اعشار الثانية وبالرغم من ان الفقير كان يمشي فعلاً على الجمر وكانت قدماه تغوص فعلاً الى عمق ثلاث بوصات فقد وجد عند فحصها انها سليمتان لم يمسها الضر وقد اعلن احمد بعد هذا انه يستطيع ان يسير مسافة اطول ولما طلب منه ان يسير حول الخندق رفض قائلاً انه في امكانه فقط ان يسير في خطوط مستقيمة بيد انه في اليوم التالي اعد له خندق اوسع وملأ بالجمر الاحمر وكانت درجة الحرارة في هذه المرة اشد من سابقتها وبعد ان تلا احمد ادعيته المعتادة سار عبر الجمر وقطع الخندق هذه المرة في ست خطوات استغرقت ثانيتين وثلاثة اعشار الثانية غير انه احترق هذه المرة فقد ظهرت في قدمه اليمنى خمس لسعات واحمرت قدمه اليسرى ولقد رفض ان يعيد الكرة معزياً فشله الى ضعف في ايمانه ... ولم يمض وقت طويل حتى تحمس احد العلماء الحاضرين وخلع نعليه ثم وقف برهة مفكراً متدبراً على حافة الخندق مالبث

بعدها ان خطا نحو الجمر وقطع الخندق المستعر في اربع خطوات سريعة وكانت نتيجة عمله هذا ان احمرت قدماه فقط دون ان تلسعا بالنار وتشجع عالمان آخران وعبرا الخندق ولم تصب اقدامها الا بحروق طفيفة .

وبعد هذه التجربة اتفق العلماء الكبار على ان مسألة السير على النار لا ينبغي ان نعتبرها خديعة ما دمنا نقوم بها بالطريقة الطبيعية ودون ان نعرض الاقدام الى مواد كيمائية . فمن الجلي ان التوصيل الحراري الضعيف الذي ينشأ عن خشب متوهج او حصى محمي لا يسبب ضرراً للبشرة العادية ولاسيما اذا كان اللمس سريعاً لا يستغرق اكثر من نصف ثانية واذا كانت مرات اللمس قليلة .

وإذن فمسألة السير على النار لا تعدو كونها مسألة رياضية دعامتها المقدرة على الخطو بخفة وبسرعة فوق جمر متقد .

ابرهيم محجوب السويفي



اين الطريق

- ١ -

أين الطريق فلا أرى أين الطريـق
صعبت مسالكه وضاقت أيّ ضيـق
حولي متاهات وأخـدود عميق
وحــدي أسير بلا دليل أو رفيق
والناس ملء الأرض ما فيهم صديق
هم بــين خوّان وسلاب حقوق
هم بين كذاب وعيّــاب صفيق
كل بخمر الغدر يسكر لا يفيـق
من ذا يطيق خداعهم ؟ من ذا يطيق
فلأبحثن بمفردي أين الطريــق

- ٢ -

يا أيهــا العربي بحثك قد يطول
ان سرت تبحث في الجبال وفي السهول
فالحق لا ينمو على سفــح التلول
كلا ولا هو من نبــاتات الحقول
واذا سألت فلن يعينـك من يقول
لن تستفيد من العليم أو الجهـول
فالحق أنت طريقــه أنت السبيل
فابحث حقيقتـك التي كادت تحول
يا أيهــا العربي أنت اخي الشقيق
هذا الطريق .. فلا تقل أين الطريق

(٥)

- ٣ -

هـــذا طريق واضح ومحـــدّد

هـو بالهـداية والرشاد ممهـد

هــو بالكرامة والاباء مشيّـــد

هو بالعزيمـــة والمضـــاء موطـد

مجـد العروبة قـد بنـاه محمّـد

يمضي الزمان عليـــه وهو مخالـــد

تبلى القرون ودينـــه يتجـــدد

آمـــن به تسعـد ويسعدك الغـد

فالليل طال وما يئست من الشروق

وغـداً يلوح النور في الافق السحيق

- ٤ -

لا تيأسن اذا عـــثرت ولا تهـــن

فالمجـــد محفوف بآلاف المحـــن

والريـــح لا تأتي بمـــا تبغي السفن

لكنهـــا تعنـــو لربان فطـــن

فاذا رأيت البغي قـد شطر الوطن

لعصابـــة ذلـــوا على طول الزمن

ثارت بهـــم أحقاد ماض مستكن

فانهض قويـــاً للدفـاع ولا تلـــن

فالقـــدس قدس الله كالبيت العتيق

طهره مـــن دنس ومن شر محيق

- ٥ -

في قبيـــة الثكلى دماء تسفـــح

وبكل ناحية عـــذارى تفضح

ومشرّدون عن الديار ونزّح

ووكالة الغوث الفقـــيرة تمنـــح

هي خدعة كبرى ومكر أوقـح

تأسو الذي جـرح الذئاب وتمسح
عجباً لآس بعض ما هو يجرح
الداء بعـد علاجـه يتقـرح
ما غير نفسك راحم لك او شفيـق
أنت الطبيب لجرحك الدامي العميق

— ٦ —

المسجـد الاقصى المبارك حوله
الله طهّـره وطهّـر اهـله
صوت المدافـع فيه ارّق ليله
والقلب مفطـور عليـه مولّه
فعصابـة الشيطان تبغي ذلّه
شيطان صهيون الذي يتألّـه
وذئاب الاستعمار تنفـخ طبله
فيرن في كل الفضاء صدىً له
كضفادع حـول القنـاة لها نقيق
لما توارى النـور غادرت الشقوق

— ٧ —

فاصدع ظلام الليل بالعزم الصليب
فضفادع الصهيون نائبة تنـوب
هي نقمة الديان للضعف المريب
فاجمع جموعك في الشمال وفي الجنوب
في وحـدة عربية ودع الغريب
لا تأمنن لغير قومك في الخطوب
ألق القياد الى نجيب او أديب
ان صح ظني فيهما ولقـد يصيب
فالبعث آت مقبل عمـا قريب
يا أيهـا العربي انت اخي الشقيق
وضح الطريق فلا تقل أين الطريـق

- ٨ -

سر في طريقك مؤمناً فيه بحقك
لا تستعن فيما تروم بغير نفسك
فسواك ان صافاك يبغي رغم أنفك
وله مرام في سمائـــك أو بأرضك
يسعى بمعولك المجهول لحفر رمسك
والحق حقك فاستعده بحد سيفك
فالسيف افصح منطقاً في كل أمرك
حق الضعيف فهاهة تزري وتضحك

يا أيها العربيّ قـــد وضح الطريق
فاسلكه مهتدياً بـــاضيك العريـق

- ٩ -

وشمال افرقيـــا تقوم بها القيامه
فيها الفرنسي الشجـاع نوى انتقامه
أسد السلام وفي الحروب هو النعامه
نعل الحـــذاء الهتلري أذل هامه
والمشرق الاقصى أبان له مقامـــه
وبمصر حـلّ وبالعراق وفي المنامه
ضيف ثقيـل رابض ينوي الاقامه
هو بالسلامة راحـــل أو بالندامه
هو بالكرامـة ذاهب وبلا كرامه
كفّ الصديق ينال أو يلقي حسامه

فهو العـــدو كما يشاء أو الصديق
والضيم لا يرضى به الحر الطليـــق

احمد عنبر

«حقوق الانسان»

•

« بمناسبة عيد حقوق الانسان في ١١/١٢/١٩٥٣ »

يا حقوق الانسان يا بدعة العصر ويا خـدعة الزمان الجديدِ ؟
أين غيّبْتِ لا أراكِ ، وأرنو كل يوم الى حشود العبيـد
من طريحٍ في عقر تونس يشكو بغي نصل مخضبٍ وقيـودِ
او جريحٍ في القدس يلثمُ من مـصر جراحـاً عصيَّةَ التضميدِ
او شقيٍّ في الغرب اذنب مذ كان ابوه مـن الزنوج السودِ
كل هذا فيضٌ من العالم الحرِّ فـأنعم بالعـالم المضفودِ

* * *

أيهاذي الحقوق ماأنت في الارض لشعب بضعفـه مشـدُودِ
همُّـه في السلام أن يهب الخبز وفي الحرب يفتـدى بالجنودِ
انمـا أنتِ للألى الفوا الظلم .. وعـاشوا للهو والتبديدِ
حقهم في الحياة جنيُ ثمـار قد طوت نجع زارع مكدودِ
واستباق الشعوب للموت وفك العرى ووصع ... الحـدودِ
ولمن شيَّدوا القصورَ خيـامٌ ولمن أولموا فتـات الثريدِ
ذاك حق الضعيف في امنا الارض فيا للضعيف من ... مجدودِ !
يا حقوق الانسان يا بدعة العصر ويا خدعة الزمان الجـديد !

يحيى محمد برزوقة

قصة العدد

انســان

•

تمر بالمرء احياناً ظروف قاسية .. يكفر فيها بنفسه وقيمه ، ويعتور فكره من جرائها ضباب كثيف ، وتنحط روحه الى وهدة سحيقة من اليأس والألم .

ولقد مرت بي فترة طويلة ، كنت اعتقد فيها – او بالأحرى اجبر ذاتي على الاعتقاد – ان على المرء لكي يحيا وسط بيئتنا الاجتماعيـة ، ان يتنازل عن كثير من قيمه وفضائله ، اي انه يجب ان يكون مستعداً ، لان يكذب ، وينافق ، ويغافل ضميره .. بل ويلقيه في البحر ان امكن . ولا شك انه تفكـير منحط وسافل ، وهو مؤلم وخاصة حينما يحس المرء انه مضطر الى اعتناقه . والأدهى من ذلك ، ان لا يقتصر هذا الرأي عليّ فقط .. بل يكون ظاهرة اجتماعية ، وصدى لمجتمعنا الذي نعيش فيه ، وتعبيراً عن روح الجماعة التي نضطرب واياها . وليس ثمة شك ان تفكير الجماعة ورأيها مهما يكن درجة انحطاطه كبــيراً .. يكون هو السائد والمعمول به .

وكنت كثيراً ما اسائل نفسي : ما جدوى صدقي واستقامتي ، وغيري يصل الى ما يبتغيه واكثر مما يبتغيه بكذبه ودجله ؟ وما جدوى امانتي واخلاصي وانا العق التراب ؟ . ثم اني شخص عادي لا ابتغي من الحياة، إلا عيشة فيها ترف وفيها راحة . واذا تهيأت السبل ، فلماذا لا اسلكها ؟ وهبها انها غــير شريفة ، ما دام

ذاك امر مشروع . وإذا كان دعاة الاصلاح ، والوطنية ، او من يزعمون انهم كذلك ، لا يتورعون عن إتيان هذا الامر ، فلماذا اعف وانا على الاقل لا ادعي لنفسي كل هذه الصفات ؟

والحق .. إن النفس البشرية – وإن كانت بطبيعتها شريفة ، ومحبة للخير – قد يعتورها بفعل البيئة ، او الظروف الاجتماعية بعض الفساد . كالذهب تماماً قد يعتوره الصدأ بمرور الزمن ، او بفعل عوامل اخرى .. لكن ما ان يلمسه بمبرده الصائغ ، حتى يعود له وهجه وبريقه .. وكذلك كنت .

ولم يكن صائغي احد اولئك الذين يدعون قيادة الفكر ، او انهم من ذوي المبادىء النبيلة الهادية . فهؤلاء في الحقيقة اوراقهم مكشوفة ، ونفوسهم اقل من ان يضطرب بها احساس فاضل ، وهم شخصيات مزيفة . كل بضاعتهم الفاظ جوفاء استعملوها بفعل المحاكاة ، وابتغاء النفع . ومتى كانت الالفاظ الجوفاء العديمة الروح تهدي ؟ لو كان الامر كذلك لكنا اعظم امم الارض .

وصائغي لا ينافق ولا يدعي ، ولا يتخذ لنفسه مبادىء سامية ، لتكون مراكب لاغراضه الشخصية ، ومنافعه الذاتية – وان كانت بعيدة كل البعد عن كل ما فيه صالح المجموع – كما يفعل قادة فكرنا اياهم !

إن صائغي كان انساناً .. والمرء لا يتوصل الى أن يكون انساناً ، الا بعد جهاد شاق وطويل ، مع نفسه اولاً ، ومع ما يحيط به من شرور ثانياً ، ومثل هؤلاء يندر وجودهم .

كان شاباً في الخامسة والعشرين من عمره ، وكان ذا رزانة ووقار ، وكان بعيداً عن كل ما يصم الشباب من عيوب ، وطيش ونزق . ولم يكن خالياً من احاسيس الشباب ومشاعره ، لكنه كان من القوة بحيث يسيطر على كل نزعة ليست بشريفة ولا طاهرة . لا لأن التقاليد والعادات تأمر بذلك .. بل لان نفسه تأباها ، وطبيعته لا تقرها .. لا يأتي عملاً أيا كان هذا العمل على اساس الثواب والجزاء .. يحب الخير لانه خير وكفى .. اما نتائج هذا الخير فأمر لا اهمية له .. سيان عنده النفع او الغرم .. المهم حبه لهذا الشيء الذي آمن بأنه خير .

وكان انعزالياً .. لا لانه يكره الناس ، فقلبه وشعوره ليس فيهما موضع للكره والحقد ، ولكنه يربأ بنفسه ان ترتاد مجتمعات ، لا يكون حديث افرادها إلا مساوىء هذا واخطاء ذاك ، وكلهم مشاركون هذا وذاك مساوئه واخطاءه .

اسعد اوقاته .. هي التي يكون فيها وحيداً .. مطالعـــا في كتاب ، او تاركاً العنان لخياله .. يرتاد به مطارح الافكار العالية ، والغايات النبيلة . ويفكر في غد لا يُعرف فيه الشر ولا الخداع ،ويحفظ على المرء انسانيته من ان تنحط الى الدرك الاسفل في سبيل ترف زائل ، واشياء عرضية .

وكان يجد اولئك الكتاب الذين رسموا من بنات افكارهم ، وصدى مشاعرهم وخلجات عواطفهم ، طرقاً قويمة لايصال البشرية الى الخير والجمال ، والذين صاغوا من ذوب انفسهم مشاعل تهدي الى كل رائع وعظيم . وكانت صحبة هؤلاء –اعني آثارهم – تثير في نفسه مشاعر ما كان اغناها ، ويحس بأنه يحلق في عليين بعيداً عن كل ما يشوه روحه ويدنسها ، ويكفيه منهم – لكي يمجدهم – انهم اعطوا حياته معنى رائعاً ، واضحوا له الاسس الوطيدة التي بمقتضاها يمكن ان يسير في الحياة بكل استقامة وشرف .

وكان بعد هذا .. ذا نفس طيبة حنون وروح شفافة ، وصوت هادىء عميق ينفذ الى القلب . واحاديثه دائماً اخوية ومليئة حبـــاً .. لكأنه اناء ملىء حباً فهو ينضحه .

وكان يأخذ الحياة ، اخذاً يسيراً لا صخب فيه، الا ان في اعماقه براكين ثائرة، ونفساً مضطرمة . لا تعرف الراحة ولا الاستقرار .

كان في اعماقه ثائراً على الاوضاع الاجتماعية المعكوسة ، وعلى المجتمع الذي فقد في سبيل المال كل القيم الجمالية ، وكل ما يعمر قلب البشر من حب وخـير ، والذي اصيب بانانية شرهة لا حد لها .. الفرد لا يؤمن إلا بذاته .. مصالحـــه الشخصية هي الأساس .. كل ما يتعارض وهذه المصالح -وان كانت اجل منها - فهي هباء . شيء واحد يدخل الى قلبه العزاء .. أمله في غد باسم يبدد نوره كل هذه الدياجير . وكان يشغل وظيفة في احدى مصالح الحكومة ، وكانت ذات اهمية ، وكان يسير في عمله بكل دقة ونزاهـة ، وكان يفرغ كل قواه الحبيسة التي كانت تريد الانطلاق – في عمله .

ويدخل عليه ذات يوم – وهو في غمرة عمله – أحـــد اولئك الذين تربطهم بمصالح الحكومة روابط ، وكانت ابتسامة ماكرة ترتسم على وجهه . وأقبل نحو مكتبه وحياه بشوق زائد ، وكأنه أخذ معارفه مع انه لا يتذكر انه رأى هـذا الوجه من قبل . وأخذ يثرثر بأحاديث لا رابط بينها وسخيفة في ذات الوقت ،

ثم سأله عن اشياء كثيرة وشخصية ، وكان يكره ان يتحدث عن حياته الشخصية لكن خجله وطيبته - وهما سر شقائه - لا يدعان له مجالاً للرفض وكان الزائر يتخذ هذه الاحاديث كمقدمـــة لما هو ساع من أجله ، وبعد كثير من اللف والدوران ، والابتسامات المزيفة قال .

اعتقد قد مرت عليك أوراق باسم راشد فرح .

- أظن ذلك .

- ان بوسعك ان تربح من هذه الاوراق كثيراً

- لست أفهم

فأجابه والابتسامة ازدادت خبثاً عن ذي قبل :

يمكنك ان تزيد عليها بضعة ارقام لا تكلفك جهداً ، وسينالك من جراء ذلك ربحاً لا بأس به . ثم ضحك ضحكة جوفاء ، وأردف يقول : كلهم كذلك ، وهو سبيل سهل للثراء والجاه .. أليس كذلك ؟ .. لا تخش شيئاً ولا تتردد ..

فأجابه وقد شحب وجهه قليلاً وعلاه اضطراب :

آسف ان اقول لك لا

فقال (راشد) بلهجة سريعة وآمره . وكان يظنه خائفاً :

قلت لا تخف .. ولا تكن مغفلاً ، وهذه فرصة .

فأجابه وهو يغالب تأثره :

لست أرفض ذلك لاني خائف .. انمـــا أرفضه لانه عمل يأباه خلقي ، ولا ترضاه معرفتي بواجبي ، ولا يقره إيماني ، بأن مقدرات هذا الشعب يجب ان تصان من العبث ... اننا يا سيدي .. أنت كتاجر وأنا كموظف وذاك كعامل كلنا شركاء واذا لم نعمل جميعا في سبيل شركتنا باخلاص ونزاهة ، فان مصيرهـــا الحتمي الافلاس والزوال .. أفهمت ؟ .. أرجو أن لا تعيد الحديث كرة اخرى .

وفغر (راشد) فاه دهشة .. لاول مرة يسمع من يرفض أن يرتشي ثم استرد خواطره وقال بلهجة هازئة :

إن كلامك يصلح لان يقال من على خشبة المسرح .. أما في الحيـــاة العملية فليس له محل .

فأجابه بلهجة حازمة :

أرجوك .. لا أحب ان اطيل معك .. قلت لك : أرفض و كفى .

فقام (راشد) وهو يمط بوزه استنكاراً ، وقبل ان يغـادر مكتبه التفت اليه قائلا :

اظنك ستندم .. فكر في الامر جلياً .

واشعل صاحبنا سيجارة راح ينفث مع دخانها كل المشاعر التي طغت عليه بسبب الحديث ، وكان يحس اضطرابا وصداعاً في رأسه .

والحق .. إن هذا الحديث ترك في نفسه أثراً ، وقد شغل به يومه كله ، حتى كان يحس احياناً وكأن شخصين في اعماقه .. كلاهما يناقض الآخر .

ـ نعم .. ابق على شرفك ايها الشريف .. دع الفرص تمر .. ان الحياة والمكانة المرموقة اليوم لصاحب المال .. لا أحد يسأل مطلقاً بأي وسيلة جمع المال .. حسبه انه يملك .

ـ اني لا اكره المال .. بل هو عصب الحياة .. ولكن لا اريده عن طريق غير مشروع .

ـ هل انت وحدك تسلك هذا السبيل ؟

ـ ليس معنى تردي غيري في الخطأ ، ان اتردى مثله . ثم قد يأتي المرء عملاً كهذا وهو لا يشعر بأنه ارتكب اثماً ، وهذا بالحيوان لشبيه . وان اتيته وأنا عارف باثمي فلا اعتقد ان المال سينقذني من عذاب الضمير .

ـ اي ضمير هذا الذي تتكلم عنه ؟ غداً ستطمسه السعادة التي لا تحصل بدون المال ولست بأول من يطمس ضميره ولا بآخرهم .

ـ لنترك كل هذا الجدل ، ولنعرض المشكلة بكل بساطة ووضوح .. أحصل مقابل عملي راتباً يكفيني ضروريات الحياة ، وكان بودي لو اني حصلت على اكثر منه ، بيد ان الوسائل لا تمكنني من ذلك .. فهل من اجل ان اظهر بمظهر ذوي اليسار والأبهة ان اخون واجبي ، واسخر ضميري .

ـ اذا كان هذا ميسوراً فلم لا ؟ لا سيما وهذا عرف شائع ، والخسارة التي ستحيق بالجميع ليست منك وحدك .. انما انت قطرة من بحر ، ونصيحتي ان تبعد عن ذهنك هذه الالفاظ .. كالضمير والواجب الخ .. فهي في قاموس اليوم مرادفة للبؤس والازدراء .

ـ ولكن ما الجدوى من كل ذلك ؟

وهنا صرخت النفس الثانية استبشاراً بهذا الفوز .. لقد مال بعض الشيء

اخيراً ، وأجابت بقوة :

الجدوى من ذلك ! أهناك شك من نتائجه الباهرة ? . رفاهية ، ولين عيش ورصيد محترم في البنك ، وكلها – لا يخفى عليك – من دواعي السعادة

– جميل .. اني ارفض كل هذا ، ثم ما هي السعادة وما كنهها .. أهي السعادة التي يحسها الحيوان حينما يشبع ويرتوي ويشعر دفء المأوى ? .. ان كانت كذلك فأنا اجل من الحيوان ، ونحن ان تجاوزنا عن المعنى السطحي التافه المتعارف عليه للسعادة ، الفيناها – أي السعادة – لفظة لا معنى لها ، واذا كان المال وسيلة لغايات جميلة ، فإني اشوه كثيراً هذه الغايات ،بأن أصل إليها عن طريق غير جميل .. وبديهي بعد هذا كله ... إني لا أبتغي المال لذات المال، هذه كانت افكاره، وعلى هذا المدار كانت تصطرع ، وتدور في شكل لا نهاية له . ولقد لعن من اعماقه اللحظة التي كانت سبباً لهذا العذاب والقلق النفسي . وحسبها لعنة .. أنها صرفته عن اثمن اوقات قراءته وتأمله ، لكنه في ذات الوقت كان قد صمم ، على ان يضع حداً لهذا العذاب .

وحينما ضمه مكتبه في اليوم التالي ، تناول ورقة بيضاء سود فيها استقالته ، كي لا يعود الى شقاء الامس وقلقه ، وإن كان واثقاً وثوقاً باهراً ، بأنه لن يتنازل عن مبادئه مهما كان البريق شديداً ، والوهج ساطعاً .

وعندما غادر الادارة ، كان يسير بقوة وعزم ، وابتسامة كبيرة مشرقة مرتسمة على معالم وجهه ، وكان يحس بأن ثقلاً هائلاً انزاح عن كاهله .

بيد ان خاطراً لمع في رأسه كالشهاب ، راح يقلقه ويعذبه .. ذلك بأنه ترك في سبيل راحته الشخصية ، وايثاره للعافية .. وظيفة هي أشد ما تكون حاجة الى المخلصين النزهاء من أمثاله .

عبد العزيز محمود